
روايات مصرية للجيب
ملف المستقبل
سري جدا!!؟
٤٣
ثقب فى التاريخ
باسل
Www.dvd4arab

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

٤٣

ثقب فى التاريخ

- أيمضى بنا الزمن ، أم نمضى نحن فى مجرى الزمن ؟
- ما سر تلك الثغرة ، التى حدثت فى أعماق التاريخ ؟
- تُرى أينجح (نور) وفريقه فى اجتياز الثغرة ، أم يحتويهم ثقب فى التاريخ ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة .. واشترك مع (نور) فى حل اللُّغز .

الثمن فى مصر

وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : الخارقون



١ ـ سرعة الضوء ..

وقف الرائد (نور الدين) ثابتًا ، يرقُب باب حجرة القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، وهو ينفرج فى بطء وهدوء ، كاشفًا مكتب القائد الأعلى بأناقته ، والآلات التكنولوجية العديدة التى تملأ جوانبه ، ثم تقدم إلى حجرة القائد الأعلى بخطوات قوية رصينة ، حتى توقَّف أمام مكتب القائد البلَّورىّ الأزرق ، ورفع يده بالتحية العسكرية ، وهو يقول :

ـ الرائد (نور الدين محمود) فى خدمتك يا سيِّدى .

أشار إليه القائد الأعلى أن يجلس ، ومال نحوه قائلًا :

ـ كيف حال فريقك أيها الرائد ؟

أجابه (نور) :

ـ فى خير حال يا سيِّدى ، ولكننا ما زلنا لا نذكر شيئًا عن أحداث مغامرتنا السابقة(*) .

(*) راجع قصة (الأرض الثانية) .. المغامرة رقم (٤٢) .

هزَّ القائد الأعلى رأسه ، وقال :

ــ الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم سرّ ذلك أيها الرائد ، ويعلم متى تستردُّون ذاكرتكم .

ثم عقد حاجبيه ، وهو يستطرد فى جدِّيَّة :

ــ المهم أننى أدَّخر لكم مهمَّة جديدة .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ الفريق كله فى خدمة المخابرات العلمية يا سيِّدى .

أومأ القائد الأعلى برأسه ، وكأنه يؤمن على قول (نور) ، ثم قال :

ــ لقد توصَّل أحد علمائنا بالمصادفة إلى نوع جديد من الوقود ، عن طريق خلط الأحماض الأمينية بمادة (التيفوسينين) ، التى تم كشفها عام ألف وتسعمائة وتسعة وتسعين ، ويعتقد علماؤنا أن هذا الوقود ، بما له من قوة اشتعال ودفع ، يمكنه أن يطلق مقاتلة من نوع (العاصفة ٧) بسرعة تصل إلى مائة وثمانين ألف ميل فى الثانية الواحدة .

ارتفع حاجبا (نور) فى دهشة ، وهو يقول :

ــ ولكن يا سيِّدى ، هذا يقترب من سرعة الضوء تقريبًا[*]

أومأ القائد الأعلى برأسه موافقًا ، وقال :

ــ هذا صحيح يا (نور) ، وكلانا يعلم أن أحدًا لم يبلغ هذه السرعة من قبل ، وهذا يعنى أن كشف مثل هذا الوقود الجديد ، قد يجعلنا نحتل مركز الصدارة بالنسبة للعالم كله ، وهى ميزة لا يمكن إهمالها أو تجاهلها .

غمغم (نور) فى حَيْرة :

ــ ولكن الوصول إلى سرعة الضوء أمر مستحيل ، لو أننا اتفقنا على صحة نظرية (أينشتين) يا سيِّدى .. فتبعًا لمعادلاته تزداد الكتلة مع تزايد السرعة ، حتى تصل إلى ما لا نهاية ، حينما تبلغ سرعة الجسم نفس سرعة الضوء .. وطبقًا لمعادلته الشهيرة : « الطاقة = الكتلة × مربع السرعة » سيتحوَّل الجسم الذى تبلغ سرعته سرعة الضوء إلى طاقة ، أو دفقة من النور ، ويفقد خواصه المادية تمامًا .

هزَّ القائد الأعلى كتفيه ، ومطَّ شفتيه ، وهو يقول :

---

* سرعة الضوء = ١٨٦٠٠٠ ميل/ثانية .

ـ إننا لن نبلغ سرعة الضوء بالطبع .

هتف (نور) :

ـ ولكننا سنقترب منها جدًا يا سيِّدى .

ساد الصمت لحظة ، ثم نهض القائد الأعلى من خلف مكتبه البلّوْرىّ الأزرق ، وربَّت على كتف (نور) ، وهو يقول :

ـ لقد قام علماؤنا بدراسة كل الاحتمالات ، الخاصة بانطلاق إحدى مقاتلاتنا بمثل هذه السرعة ، ولكننا نحتاج إلى تجربة عملية ، ودراسة داخلية .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ هل لى فى مزيد من الإيضاح يا سيِّدى ؟

صمت القائد الأعلى لحظة ، ثم قال :

ـ إننا نريد من فريقك أن يستقل مقاتلة من نوع (العاصفة ٧) ، والتى يتكوَّن طاقمها عادة من أربعة أفراد وتنطلقون باستخدام هذا الوقود الجديد ، على أن تقوموا بدراسة كل شىء من داخل المقاتلة ؛ لأن علماءنا يؤكدون أن القياسات داخل المقاتلة ، ستختلف كثيرًا عن القياسات خارجها ، خاصة أنها ستتم داخل جسم تقترب سرعته من سرعة الضوء .

عقد (نور) حاجبيه لحظة ، وهو يفكِّر فى عمق ، ثم رفع عينيه إلى القائد الأعلى ، وقال :

ـ سيكون علىَّ أن أعرض الأمر على الفريق أولًا يا سيِّدى ، فالمهمة بالغة الخطورة ، وعلى كل منهم أن يقرِّر بنفسه .

سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

ـ هل تظن أنهم قد يرفضون ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

ـ لن يجبرهم أحد على القبول يا سيِّدى .. ولكن إذا ما ارتبط الأمر ـ مهما كانت خطورته ـ بأمن مصر ، أو تقدُّمها ، فأعتقد أن إجابة سؤالك ستكون النفى . لن يرفض أحدهم المهمة أبدًا .

* * *

بدأ العد التنازلى لإطلاق المقاتلة (العاصفة ٧) فى مهمَّتها التجريبية ، وداخلها جلس أفراد الفريق يعدُّون أجهزتهم للعمل ، دون أن يتبادل أحدهم كلمة واحدة مع الآخر ، حتى قالت (سلوى) :

ـ هل يمكنك قيادة مثل هذه المقاتلة يا (نور) ؟.. أعنى بسرعة الضوء ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وقال :

— إننى أقود هذه المقاتلات منذ زمن يا زوجتى العزيزة ، ولكن قيادتها بمثل هذه السرعة أمرٌ مخيفٌ .

ابتسم (رمزى) ، وهو يقول :

— حَذارِ يا (نور) .. فمهمَّتى دراسة الانفعـــالات النفسية ، لمن ينطلقون بمثل هذه السرعة .

ضحك (نور) ، وهو يقول

— أرجو ألَّا يشير تقريرك النهائى إلى خوفى هذا يا عزيزى (رمزى) .

رفع (محمود) عينيه عن أجهزة الرصد الإشعاعى ، وسأل (نور) فى اهتمام :

— ما خط سيرنا بالضبط يا (نور) ؟

مطَّ (نور) شفته السفلى ، وقال :

— المفروض أن ننطلق من هنا فى قاعدة (أسوان) ، وندور حول الأرض حتى نصل مرَّة أخرى إلى (سيناء) ، وطبقًا لسرعتنا الخارقة ، لن تستغرق رحلتنا أكثر من دقائق معدودة .

هزَّت (سلوى) رأسها ، وقالت :

— يدهشنى أن تصل سرعة شىء ما إلى هذا الحدّ .

ثم أردفت فى اهتمام :

— هل تعلمون أن نجاح مهمتنا هذه قد يغيِّر وجه العلم تمامًا ، فالمسافات الشاسعة بين المجرَّات ستتضاءل بفضل سرعة قطع السنوات الضوئية و ....

قاطعها (نور) فجأة :

— فليرتدِ كل منكم خوذته يا رفاق ، فسننطلق بعد ثانيتين .

أسرع الجميع يرتدون خوذاتهم الواقية ، وأمسك (نور) ذراعى القيادة فى قوة ، وتعلَّقت عيون الجميع ، فى قلق وترقُّب ، بأرقام ساعة التوقيت ، التى تسارعت فى هبوطها نحو الصفر ، ثم لم يلبث رقم (صفر) أن ملأ شاشة ساعة التوقيت ، وصاح (نور) فى حماس :

— الآن يا رفاق .

وانطلقت المقاتلة (العاصفة ٧) ، وأخذت سرعتها تتزايد بسرعة ، و (نور) يضغط زرَّ السرعة فى عصا القيادة اليسرى بكل قوته ، و (سلوى) تقرأ السرعات المتزايدة ، التى تسجِّلها أجهزتها ، حتى هتفت فى انبهار :

— لقد بلغنا السُّرعة المنشودة يا (نور) ، ونحن الآن نعبُر

سماء المغرب .. يا إلهى !!.. لقد اجتزنا المسافة فى زمن مذهل يا (نور) .. لقد دُرنا حول ثلاثة أرباع الكرة الأرضية .

وفجأة .. ارتجت المقاتلة فى قوة ، وارتطم أفراد الفريق بمقاعدهم بشدة ، قبل أن يهتف (محمود) فى جزع :

ــ ماذا حدث ؟

أجابه (نور) ، وهو يعقد حاجبيه فى توتر بالغ :

ــ لقد انفصل ذيل المقاتلة بسبب السرعة الفائقة .. إننا نتجه إلى سيناء ، ولا يمكننى التحكم فى اتجاه المقاتلة و ....

وفجأة .. صرخت (سلوى) فى رعب ، وهتفت وهى تحدق فى شاشة جهازها بذهول :

ــ (نور) !.. لقد تجاوزنا سرعة الضوء .

هتف الجميع فى ذهول :

ــ ماذا ؟!.. هذا مستحيل .

عادت (سلوى) تصرخ :

ــ اخفض السرعة يا (نور) .. اخفض السرعة قبل أن نتحول إلى طاقة .

وضغط (نور) كوابح المقاتلة بكل ما يملك من سرعة وقوة .. ويأس .. وعلى بعد مئات الأميال ، صاح رجال المراقبة ، الذين يتابعون تجربة الإطلاق على شاشات الرادار :

ــ المقاتلة فقدت اتزانها .

صاح القائد الأعلى فى توتر :

ــ يا إلهى !!.. بمثل هذه السرعة .

وفجأة .. تألقت بقعة كبيرة على شاشة الرادار ، ثم اختفت المقاتلة تمامًا ، فاتسعت عينا القائد الأعلى ، وهو يقول فى لوعة وذعر :

ــ رباه !! لقد تحول (نور) وفريقه إلى دفقة من الطاقة .

* * *



٢ ـ البحث ..

رفع رئيس فريق البحث يده بالتحية العسكرية ، أمام القائد الأعلى ، وقال فى لهجة تَنِمُّ عن أسفه :

ـ النتائج سلبية يا سيِّدى .. لا أثر للفريق أو المقاتلة .

أخفى القائد الأعلى حزنه البالغ ، وهو يسأله :

ـ هل فحصتم (سيناء) كلها ؟.. لقد اختفت المقاتلة هناك .

أومأ رئيس فريق البحث برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ لقد عثرنا على ذيل المقاتلة فحسب يا سيِّدى ، أما بالنسبة للمقاتلة نفسها ، فقد فحصنا كل شبر من رمال (سيناء) ، بالأقمار الصناعية ، والإشعاعات الباحثة ، وكل الوسائل التقنية الحديثة ، دون أن نعثر على أدنى أثر لها .

أغلق القائد الأعلى عينيه ، وقال فى ألم :

ـ إذن فقد فقدنا أفضل ضابط مخابرات ، وأفضل فريق

علمى .. لقد تحوَّل الجميع إلى طاقة لا يمكن حصرها .. ألا لعنة الله على هذا النوع من التقدُّم العلمى .

★ ★ ★

لم يكد (نور) يضغط كوابح المقاتلة فى قوة ، حتى تناقصت سرعتها كثيرًا ، وخُيِّل لأفراد الفريق ، وهم يتطلَّعون من نوافذها ، أن الليل والنهار يتعاقبان بسرعة مذهلة ، حتى بديا كضوء يشتد ويخفت فى تتابع منتظم سريع ، إلى أن وصلت المقاتلة إلى سرعة عادية ، وتباعدت المسافات بين الضوء وخفوته ، حتى ظهرت أمامهم فجأة رمال صحراء ، فصاحت (سلوى) :

ـ سنرتطم بالأرض يا (نور) ..

وأطلق (نور) صواريخ المقاتلة العكسية ، ليخفِّف من وقع الصدمة ، ولكن هذا لم يمنع أفراد الفريق من الشعور بالارتجاج ، حينما ارتطمت المقاتلة برمال الصحراء ، واستقرَّت ساكنة ..

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يتنهَّد (نور) ، قائلًا :

ـ أعتقد أننا قد نجونا يا رفاق .

تنفَّس الجميع الصُّعداء ، وقال (رمزى) :

ـ لقد تصوَّرت لحظة أنها نهايتنا .

هتفت (سلوى) :

ـــ وأنا أيضًا .

ثم التفتت إلى (محمود) ، وسألته :

ـــ أليس كذلك يا (محمود) ؟

أدهشها أنه يحدّق عبْر نافذة المقاتلة فى اهتمام بالغ ، فسألته فى دهشة :

ـــ ماذا بك يا (محمود) ؟

انتفض (محمود) ، وكأنه يستيقظ من حُلم عجيب ، وعدّل وضع منظاره الطبّى ، وهو يقول :

ـــ معذرةً يا (سلوى) ، ولكننى كنت أتساءل فى أى جزء من (سيْناء) نحن ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يتأمّل الرمال الممتدة على مدى البصر ، وقال :

ـــ هذا صحيح يا (محمود) .. إن (سيْناء) التى نعرفها فى القرن الحادى والعشرين ، من أشهر المناطق السياحية فى مصر والعالم .. ولا يخلو كيلومتر واحد منها من منتجع سياحى ، أو فندق ضخم ، أو واحة غنّاء ، ولكن هذه المنطقة تبدو خالية كالصحراء .

ثم التفت إلى (سلوى) ، وسألها فى اهتمام :

ـــ هل حدّدت الأجهزة موقعنا يا (سلوى) ؟

عقدت حاجبيها ، وهى تقول :

ـــ لست أدرى يا (نور) .

ثم ضغطت أزرار الكمبيوتر الصغير ، قبل أن تهتف فى دهشة :

ـــ لابُدّ أن هناك خطأ ما ، فالكمبيوتر يحدّده موقعنا بخط طول (٣٥°) ، شرقىّ (جرينتش) ، وخط عرض (٣١,٥°) شمالىّ خط الاستواء ، وهذه الإحداثيات خارج (سيناء) .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ نعم يا (سلوى) .. يبدو أن المقاتلة قد سقطت بنا فى صحراء (النقب) خلف الحدود الإسرائيلية ، وقد يتسبّب هذا فى مشكلة ديبلوماسية بين الدولتين .

قال (محمود) ، وهو ما زال يتطلّع خارج المقاتلة فى حَيْرة :

ـــ ولكن يا (نور) .. حتى صحراء (النقب) لا تبدو خاوية إلى هذا الحدّ .

صمت (نور) لحظة ، وهو يتأمَّل الصحراء الممتدة أمامه ، ثم غمغم :

ـــ سنحاول البحث عن سبب ذلك يا (محمود) ، ولكننا سنتفقَّد إصابة المقاتلة أولًا .

* * *

أزاح (نور) خصلة نافرة من شعره ، تهدَّلت على عينيه ، وقال وهو يتأمَّل المقاتلة ذات الذيل المفقود :

ـــ لا أعتقد أنه يمكننا إصلاحها وحدنا يا رفاق .. سنضطر إلى إعلان وجودنا فى صحراء (النقب) ، ونحاول البحث عن تعليل منطقى أمام الإسرائيليين .

سألته (سلوى) فى استسلام :

ـــ هل أرسل نداء استغاثة على موجات (ألفا) ؟

قلَّب (نور) كفَّيه ، وهو يقول مبتسمًا :

ـــ ليس أمامنا إلَّا ذلك يا عزيزتى .

وقف يتأمَّل المقاتلة لحظة أخرى ، ثم التفت إلى (محمود) ، وقال :

ـــ أما زال المكان يثير انتباهك يا (محمود) ؟

أومأ (محمود) برأسه إيجابًا ، وقال :



وقف يتأمَّل المقاتلة لحظة أخرى ، ثم التفت إلى (محمود) ، وقال :

ـــ أما زال المكان يثير انتباهك يا (محمود) ؟

— لقد زرت منطقة (النقب) مرتين من قبل يا (نور) ، ولم تكن بهذه البدائية ، والخواء أبدًا .

عقد (نور) حاجبيه مغمغمًا :

— ماذا يعنى هذا ؟

ظهرت (سلوى) فى هذه اللحظة من داخل المقاتلة ، وهى تقول :

— لقد أرسلت عشرات النداءات يا (نور) ، ولكننى لا أتلقى إجابة واحدة .

سألها (نور) فى حِدّة :

— ماذا تعنين ؟.. هل فسد جهاز الإرسال ؟

هزّت رأسها فى حَيْرة ، وهى تقول :

— لا .. إنه يعمل ، ولكن أحدًا لا يجيب رسائلى .

فتح (نور) فمه لينطق بكلمة ما ، ولكنه لم يلبث أن أطبقه ، وهو يقول :

— هل تسمعون هذا الصوت يا رفاق ؟

أصغى الجميع فى اهتمام ، وبدا لهم صوتٌ كالأزيز ، يرتفع تدريجيًا ، فغمغم (رمزى) فى قلق :

— عجبًا !!.. هذا الصوت يشبه بعض الأفلام التاريخية التى ....

قبل أن يتم عبارته ، تحوّل الصوت إلى دوىّ شديد ، ومرق جسمان طائران من فوق رءوسهم ، واتسعت عيونهم فى دهشة ، وهتف (محمود) :

— يا إلٰهى !!.. إنها طائرات مقاتلة نفّاثة .

صاحت (سلوى) فى ذهول :

— ولكن هذا النوع من الطائرات بطل استخدامه ، منذ منتصف تسعينات القرن العشرين ، حينما اختُرِعَ الوقود الأمينى .

أجابها (نور) فى لهجة قلقة غامضة :

— وهذا النوع بالذات يعود إلى منتصف الستينيات من القرن العشرين يا (سلوى) .

هتف (رمزى) فى حَيْرة :

— يا إلٰهى !!.. الأمر يبدو كأننا نحضر تصوير فيلم تاريخى !

ضاقت عينا (نور) ، وهو يتأمّل فى الطائرتين ، اللتين استدارتا ، وعادتا تنقضّان عليهما ، وهو يغمغم :

— أو كأننا عُدنا بالزمن إلى الوراء يا رفاق .

لم يكد يتم عبارته ، حتى عبَرت الطائرتان فوق رءُوسهم تمامًا ، وبداخل إحداها ، قال الطيّار بالعبرية ، فى لهجة توحى بخطورة الأمر ، متحدّثًا فى جهازه اللاسلكى :

— هنا النقيب (إفرام يائيل) ، قائد دورية (النقب) ..
هناك جسم مجهول يستقر على رمال النقب ، وحوله أربعة أشخاص فى ثياب عجيبة لامعة ، ننتظر الأوامر للتعامل معهم .

جاءه الرد بسرعة :

— حاول أن تمنعهم من مغادرة المكان ، حتى نرسل دورية من الهليوكوبتر لالتقاطهم .. لا بأس من إطلاق النار ، ولكن لا تحاولا إصابة الهدف .. اكتفيا بمحاصرتهم فحسب .

أجابه النقيب (إفرام) فى حزم :

— عُلم .. سنتعاملُ معهم تبعًا للأوامر .

وبإشارة منه ، عادت الطائرتان تنقضّان على (نور) ورفاقه ، فى حين غمغم النقيب (إفرام) فى تعجُّب ، محدِّثًا رفيقه فى الطائرة الثانية :

— يا للغرابة !! إننى لم أرَ مثل هذه الثياب أبدًا فى عصرنا هذا .

أجابه زميله فى لهجة مماثلة :

— ولا ذلك الجسم القابع إلى جوارهم .. لقد كنت أظن أننا قد بلغنا قمة التطوُّر فى عامنا هذا .

ثم أردف بعد وهلة من الصمت :

— عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين .

* * *

٣ — ثقب فى الزمن ..

انطلقت رصاصات الطائرتين ، حول الرفاق الأربعة ، الذين تضاعفت دهشتهم ، وصاح (محمود) ، وهى يلقى بجسده أرضًا :

— يا إلٰهى !!.. إنهم يطلقون علينا النار .

أجابه (نور) فى انفعال :

— نعم ، وبرصاصات حقيقية ، من ذلك النوع القديم .

ثم انتزع مسدَّسه الليزرىّ ، وهو يردف :

— أراهنكم أن أشعة مسدَّسى اللِّيزرىّ ستثير ذهولهم .

عقدت (سلوى) حاجبيها ، وهى تغمغم فى دهشة :

— أشعة اللِّيزر لم تعُد تدهش أحدًا يا (نور) ، فكل شىء يتحرَّك باللِّيزر فى أيَّامنا هذه .

أجابها وهو يرقُب الطائرتين ، اللَّتين عادتا تستديران ، وتتجهان إليهم :

— تقصدين فى الأيام التى تركناها خلفنا يا (سلوى) ، وليس فى هذه الأيام .

سألته فى دهشة ، شاركها فيها (رمزى) و (محمود) :

ــ ماذا تعنى يا (نور) ؟

صوَّب (نور) مسدَّسه نحو الطائرتين ، وهو يقول :

ــ فيما بعد يا (سلوى) .. فيما بعد .

ثم أطلق أشعة مسدَّسه اللّيزرىّ نحو إحدى الطائرتين .

* * *

كانت المفاجأة مذهلة بحقّ ، بالنسبة للنقيب (إفرام) ، فقبل أن يضغط إبهامه زرّ إطلاق النيران ، فى عصا قيادة طائرته ، شقَّ الهواء شعاع أزرق ، شطَر جناح الطائرة شطرين ، كسكّين حاد يقطع قرصًا من الزُّبد الطازج ..

مالت الطائرة فجأة ، ودارت حول نفسها ، وهى تهوِى من حالق ، وتغلَّب النقيب (إفرام) على ذهوله بسرعة ، وضغط زرًّا فى الطائرة ، دفع مقعده خارجها ، وأطلق مظلَّة واقية ، جعلته يهبط فى رفق ، إلى جوار مقاتلة (نور) ورفاقه ..

أما قائد الطائرة الثانية ، فقد بلغ منه الرعب والذهول مبلغه ، فانطلق بطائرته مبتعدًا ، وهو يقول من خلال جهازه اللاسلكى فى ذُعر :

ــ يبدو أنهم من كوكب آخر .. لقد أسقطوا طائرة النقيب

(إفرام) بأشعة زرقاء عجيبة .. أكرِّر .. إنهم من كوكب آخر .

وفى نفس اللحظة التى ابتعد فيها النقيب الثانى فى ذُعر ، كان النقيب (إفرام) يحدِّق بذهول فى وجوه أفراد الفريق ، ويتطلَّع فى حذر وخوف إلى المسدَّس اللّيزرىّ ، الذى يصوِّبه إليه (نور) ، وانتفض جسده فى قوة ، حينما سأله (نور) فى هدوء بالعبرية :

ــ من أنت ؟

عاد (إفرام) يحدِّق فى وجه (نور) بدهشة ، وكأنه من العجيب أن يحادثه (نور) بلغة مفهومة ، ثم غمغم فى حَيْرة :

ــ النقيب (إفرام يائيل) ، من سلاح الطيران ، التابع لجيش الدفاع الإسرائيلى .

عاد (نور) يسأله فى هدوء :

ــ فى أى عام نحن ؟

غمغم (إفرام) فى مزيد من الدهشة والحَيْرة :

ــ إننا فى الأوَّل من يونيو ، عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين .

جاء دور أفراد الفريق لتتفجَّر الدهشة فى وجوههم ، وهتف (رمزى) فى حِدَّة :

ـــ أى خدعة حمقاء تحاول أن تخدعنا بها أيها الرجل ؟.. إننا ....

أوقفه (نور) بإشارة من يده ، وقال بالعربية :

ـــ مهلًا يا (رمزى) .. هذا الرجل يقول الحق .

صاح (رمزى) :

ـــ كيف هذا يا (نور) ؟. أنت تعلم مثلنا أننا ننتمى إلى عام ألفين وأربعة .

أجابه (نور) فى هدوء :

ـــ هذا صحيح .. ولكن هذا الرجل ينتمى إلى زمن يسبق زمننا بسبعة وثلاثين عامًا .

تجلَّى الذُّعر والدهشة فى وجه (سلوى) ، وهى تلوِّح بكفِّها صائحةً :

ـــ لستُ أصدِّق هذا .. لست أصدِّق هذا .

مطَّ (نور) شفتيه ، وقال فى ضيق :

ـــ كل الظواهر تؤكد ذلك يا (سلوى) .. صحراء النقب التى بدت لـ (محمود) بدائية ، مخالفة لما رآها عليه من قبل .. وهذه الطائرات (الفانتوم) القديمة ، وعدم استجابة أيَّة جهة لنداءاتك المحمولة على جسيمات (ألفا) ، وذلك التعاقب

العجيب فى الليل والنهار ، الذى شاهدناه قبل أن تهبط بنا (العاصفة ٧) .

اتسعت عينا (محمود) فى ذُعر ، وهو يقول :

ـــ هل تعنى أننا قد اجتزنا حاجز الزمن إلى الوراء ؟

تنهَّد (نور) فى ضيق ، وقال :

ـــ يبدو أننا أول إثبات لنظرية (أينشتين) ، التى تعتبر الزمن بعدًا رابعًا ، مثل الطول والعرض والارتفاع .. وأن الإنسان قادر على التحرُّك فى الزمن ، أمامًا وخلفًا ، إذا ما وجد الوسيلة المناسبة .

عادت (سلوى) تقول فى ذُعر :

ـــ لست أصدِّق هذا .

هزَّ (نور) رأسه ، وقال :

ـــ إننا نتعايش مع أحداث زمننا ؛ لأننا نراها ونشعر بها يا (سلوى) ، ورؤيتنا لها تعتمد على سرعة الضوء ، ويبدو أننا حينما تجاوزنا هذه السرعة ، انطلقنا أسرع من الأحداث ، وتوقفنا عند الماضى ، فى عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين .

ساد الصمت المشوب بالدهشة والتوتُّر لحظات ، ثم غمغم (رمزى) :

— إذن فنحن أول من يجتاز حاجز الزمن .. كم يبدو لى هذا مخيفًا ومذهلًا !!

قلَّب (نور) كفَّيه ، وقال :

— أنتم تعلمون يا رفاق أننى كنت أرفض مبدأ السفر عَبْر الزمن تمامًا .. ولقد تجلَّى لكم ذلك فى مغامرة سابقة(*) ، ولكن الأمر الواقع يؤكد خطأ مبدئى .

هتف (محمود) :

— ولكن السفر عَبْر الزمن أمر خطير للغاية يا (نور) ، فلنفرض مثلًا أن أحدنا قد لقى مصرعه فى هذا العصر ، فكيف سيتأتَّى له أن يولد فيما بعد .

هزَّ (نور) كتفيه ، وقال :

— لن يولد فيما بعد ؛ لأنه وُلِدَ فعلًا فى عصر قادم .

رفع (محمود) حاجبيه فى دهشة ، وقال :

— لست أستسيغ هذا المنطق .

أجابه (نور) :

— ولكنه منطق السفر عَبْر الزمن .

هتفت (سلوى) :

(*) راجع قصة (زائر من المستقبل) .. المغامرة رقم (٦) .

— ولكن لو أننا حقًا عُدْنا إلى عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين ، فسيعنى هذا أن قصة اختراقنا للزمن ستكون معروفة فى عام ألفين وأربعة ، ولن تكون هناك ضرورة لتجربة الوقود الجديد ، فستكون نتائجه — حينئذ — معروفة .

كاد (نور) يجادلها ، لولا أن هتف (رمزى) فجأة :

— يا إلهى !!.. هناك أربع طائرات ، من نوع الهليوكوبتر ، تنقضّ علينا .

رفع الجميع عيونهم إلى حيث أشار (رمزى) ، وبدأ الصراع بين الماضى والمستقبل .

* * *



٤ ــ الصراع العجيب ..

بدا الصراع عجيبًا منذ اللحظة الأولى .

كانت الطائرات الهليوكوبتر الأربع تهاجم مقاتلة ساكنة ، وأربعة أفراد تقول المعلومات عنهم : إنهم من كوكب آخر ، فى حين كان (نور) يقاتل وحده ، وباستخدام مسدَّسه اللَّيزرىّ فحسب ..

وكان القتال يدور بين الماضى والمستقبل ..

ووقف النقيب (إفرام يائيل) يشاهد ما يحدث فى ذهول ..

لقد بدأت المعركة بانقضاض الهليوكوبترات الأربع ، ولكن دون أن تطلق إحداها رصاصة واحدة ، وكأنها تدرس قوة الخصم أولًا ..

ثم أطلق (نور) أشعة مسدَّسه ..

وسقطت إحدى الطائرات ، بعد أن شطرت أشعة (نور) مروحتها ، وتهاوت الثانية ، وهى تجرُّ خلفها خيطًا من النيران ، بعد أن اخترقت أشعة (نور) خزَّان وقودها ، وابتعدت

الطائرتان الأخريان ، فى محاولة لاستيعاب قوة ذلك السلاح العجيب ، قبل أن تعاود هجومها :

وفى الانقضاضة الثانية ، أطلقت الطائرتان رصاصاتهما ..

انهالت الرصاصات كالمطر ، وقفز (نور) ورفاقه ، والنقيب (إفرام) يحتمون بجسم مقاتلة القرن الحادى والعشرين ، وهتف (رمزى) فى سخط :

ــ لو أن مقاتلتنا تعمل ؛ لأسقطنا هاتين الطائرتين فى جزء من الثانية .

أجابه (نور) فى حزم :

ــ لن نحتاج إلى ذلك .

ثم قفز من مكانه فى جسارة ، ووقف يواجه رصاصات الهليوكوبتر ، التى تناثرت حوله كالسيل ، وأطلق أشعة مسدَّسه اللَّيزرىّ ، لتخترق جسم الطائرة ، وتنزع مروحتها من منبتها ، وتسقطها ككتلة من الحجر ..

كان (نور) يستعد لمواجهة الهليوكوبتر الأخيرة فى بسالة نادرة ، حينما ارتفع فجأة صوت النقيب (إفرام) ، وهو يهتف فى صرامة :

ــ انتهى القتال أيها السادة ــ أيًا كنتم ــ لقد أصبحتم فى قبضتى .



ثم قفز من مكانه فى جسارة ،
ووقف يواجه رصاصات الهليوكوبتر ..

استدار (نور) فى سرعة إلى مصدر الصوت ، وارتسم الغضب والصرامة فى ملامحه .. فقد كان النقيب (إبرام) يحيط عنق (سلوى) بذراعه اليسرى ، ويصوِّب إلى (نور) و (رمزى) و (محمود) مسدسًا ضخمًا ، وهو يردف فى شراسة :

ـ سأقتل الفتاة لو تحرَّك أحدكم خطوة واحدة .

غمغم (نور) فى حِدَّة :

ـ أيها الوغد ..

وفى نفس اللحظة ، أطلقت الهليوكوبتر الأخيرة رصاصاتها نحوه .

* * *

لحظة واحدة فصلت بين موت (نور) وحياته ..

لحظة انتبه فيها إلى الهليوكوبتر التى تهاجمه ، وقفز محاولًا تفادى رصاصاتها ..

وخُيِّل للجميع أن (نور) قد تجاوز حاجز النيران ، وهو ينضمّ إليهم ، إلى جوار جسم المقاتلة ، ولكن (سلوى) شهقت فى ذُعر ولوعة ، حينما شاهدت بقعة من الدم على ذراع (نور) ، الذى تجاهل آلامه ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـ اترك (سلوى) أيها الوغد ، وإلّا ندمت أشد الندم .

ابتسم النقيب (إبرام) فى سخرية ، وقال فى جِدَّة :

ـــ حاول أن ترفع سلاحك العجيب هذا نحوى ، ولْنَرَ مَن منَّا سيندم .

بدا الموقف واضحًا لركَّاب الهليوكوبتر ، فأسرعت تهبط على مقربة من المقاتلة (العاصفة ٧) ، وقفز منها عدد من الجنود الإسرائيليين ، صوَّبوا مدافعهم الرشاشة إلى (نور) ، ورفاقه ، وازدادت ابتسامة (إفرام) سخريةً وشراسة ، وهو يقول :

ـــ ما رأيك أيها المتحذلق ؟

خفض (نور) مسدَّسه اللِّيزرىّ فى استسلام ، ثم ضغط زرًّا صغيرًا فى ساعته الذرّيَّة ، قبل أن يقول فى هدوء :

ـــ حسنًا .. إننا نستسلم .

ثم أردف فى سخرية :

ـــ وأعتقد أن استسلامنا سيكون أسوأ بالنسبة لكم من عودتنا .

عقد النقيب (إفرام) حاجبيه فى دهشة ، ولكنه لم يفهم عبارة (نور) أبدًا ..

* * *

كانت الهليوكوبتر الإسرائيلية تنطلق بأسراها الأربعة ، نحو (تل أبيب) ، حينما همست (سلوى) فى سخط :

ـــ وكأننا نعيش كابوسًا مزعجًا .

غمغم (رمزى) :

ـــ إننى أتمنَّى أن أغلق عينىَّ وأفتحهما ، لأجد أن هذا الحلم قد انتهى .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـــ من المؤسف أنها حقيقة يا رفاق .

غمغم (محمود) :

ـــ بل قل من المخيف .

ساد الصمت لحظة ، ثم قال (رمزى) :

ـــ لو أن هذا ليس كابوسًا ، فسيعنى هذا أننا أصبحنا أسرى التاريخ ، وأننا نعيش الآن مرحلة سبقت مولدنا .

قالت (سلوى) فى صوت مرتجف :

ـــ تُرَى .. هل هناك وسيلة لعودتنا إلى عصرنا ؟

تنهَّد (نور) وهو يقول :

ـــ ربَّما يا (سلوى) .. لو أننا درسنا ظروف اختراقنا لثغرة التاريخ هذه بدقة .

أكمل (رمزى) :

ـــ ولو أمكننا استعادة مقاتلتنا .

اختلس (نور) النظر إلى الجنديين الإسرائيليين ، اللذين يصوِّبان إليهم مدفعيهما الرشّاشين ، ثم همس :

ـ بالنسبة لمقاتلتنا فلا داعى للقلق ؛ لأننى أملك فى ساعتى الخاصة زرًّا يمكنه أن يغلق رتاجها الإليكترونى ، فيستحيل دخولها دون معرفة شفرتها الخاصة .. ثم إنها مصنوعة من معدن (التليبانيوم) ، الذى لم يكشف إلا عام ألفين ، والذى لن يمكنهم اختراقه بكل اختراعات هذا العصر .

وفجأة .. هتف (محمود) :

ـ هل تعلمون ما يعنيه تاريخ اليوم ؟

وانتبه إلى وجود الجنديين ، حينما جعلتهما عبارته يرفعان مدفعيهما الرشاشين فى عصبيَّة ، فعاد يهمس :

ـ هل تعلمون ما يعنيه موعد وصولنا إلى ثغرة التاريخ هذه ؟

نظر إليه الجميع فى تساؤل ، فأجاب فى انفعال :

ـ يعنى أنه بعد خمسة أيام من الآن ، وبالذات فى صباح الخامس من يونيو ، ستتعرَّض مصر لأكبر نكسة عسكرية فى تاريخها .. نكسة يونيو عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين .

* * *

٥ ـ فى قلب إسرائيل ..

رفع وزير الدفاع الإسرائيلى حاجبيه فى دهشة ، وحدَّق فى وجه الضابط (إفرام) بعينه الواحدة ، وهو يقول :

ـ هل تؤلِّف واحدة من روايات الخيال العلمى أيها النقيب ؟.. لو أنك تفعل فأنت مغرق فى الخيال .

حرَّك النقيب (إفرام) رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال :

ـ إننى لا أحاول ذلك يا سيِّدى .. لقد تصوَّرت فى البداية أنهم من كوكب آخر ، ولكن أحدهم ـ وأظنه قائدهم ـ تحدَّث إلى الآخرين بالعربية ، التى أجيدها ، بحكم مولدى فى القاهرة ، وقال إنهم قادمون من القرن الحادى والعشرين و ....

قاطعه وزير الدفاع فى حِدَّة :

ـ هذا جنون ولا شك .. قد يمكنك إقناعى أنهم من كوكب آخر ، ولكن قدومهم من القرن القادم يشبه الجنون .

هزَّ النقيب (إفرام) كتفيه ، وقال :

ـ أنا أيضًا لم أصدِّق للوهلة الأولى يا سيِّدى ، وهاجمت

الفتاة بالفعل ، ونجحت فى السيطرة على الموقف ، ولكن الدماء التى أسالتها الرصاصة ، من ذراع قائدهم ، جعلتنى أميل إلى تصديق كونهم بشرًا ، ووجود كل هذه الاختراعات المذهلة مع بشر مثلهم ، يجعل قدومهم من المستقبل أمرًا ..

قاطعه وزير الدفاع الإسرائيلى مرَّة أخرى :

ــ كفَى أيها النقيب .. هذا أمر يدفعنى للجنون .

ثم التقط سمَّاعة الهاتف ، وقال :

ــ (شيمون) .. اسمعنى جيِّدًا .. بشأن أسرَى النقب الغامضين .. أريدُ منك أن تستجوبهم بكل الوسائل الممكنة لتحصل على الحقيقة .

وهتف فى غضب :

ــ الحقيقة كلها يا (شيمون) .

* * *

رفع (نور) عينيه فى هدوء ، يتأمَّل الإسرائيلى الضخم ، الذى يقف أمامه ، والذى سأله فى شراسة وصرامة :

ــ مَنْ أنت .. وما جنسيتك ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ اسمى الرائد (نور الدين محمود) ، مصرى ، أعمل فى المخابرات العلمية المصرية .

ضاقت عينا الإسرائيلى الضخم ، وهو يقول فى حِدَّة :

ــ المخابرات العلمية ؟!.. هل توجد مخابرات علمية فى مصر ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ ستنشأ فى بداية التسعينات ، بعد أن تجتاز مصر الأزمة الاقتصادية الطاحنة ، التى ....

وفجأة .. هوَت صفعة قوية على وجه (نور) ، الذى ضمَّ شفتيه فى غضب ، وقال فى صرامة ألقت الرعب فى قلب الإسرائيلى الضخم ، على الرغم من أنه الأكثر سيطرةً على الموقف :

ــ ستدفع ثمن هذه الصفعة غاليًا .

ابتسم الإسرائيلى الضخم فى سخرية ، وقال .

ــ الثمن ؟!.. يالك من متفائل !! لقد اعترفت توًّا أنك مصرى ، وهذا يعنى أنك جاسوس ، خاصة بعد اعترافك بالعمل لحساب المخابرات المصرية .

ثم مال فجأة نحو (نور) ، وقال فى صرامة :

ــ لماذا أرسلتك المخابرات المصرية إلى هنا ؟.. وما سرّ الثياب اللامعة العجيبة ، والجهاز الغريب الذى يقبع على أرض النقب ؟ وكيف أمكنكم اجتياز الحدود بهذا الجهاز ، دون أن تكشفكم أجهزة الرادار ؟

قال (نور) فى صرامة :

ـ لن تحصل على كلمة واحدة منّى .

ابتسم الإسرائيلى فى سخرية ، وقال فى هدوء :

ـ لقد سمعت هذه الكلمة عشرات المرّات ، وخصوصًا من أفواه هؤلاء المخرّبين الفلسطينيين ، ولكن قليلًا منهم من يلتزمون بوعدهم هذا .

ثم أطلق ضحكة وحشية عجيبة ، قبل أن يستطرد :

ـ بعضهم يتنازل عن كلمته بعد انتزاع أظفاره ، والبعض الآخر بعد بتر أحد أعضائه ، وبعضهم حينما ....

بتر عبارته بغتةً ، ثم عاد يبتسم فى سخرية ، وعيناه تتألّقان فى وحشية ، وهو يقول :

ـ الفتاة زوجتك .. أليس كذلك ؟

تطلّع إليه (نور) فى برود دون أن يجيب ، فعاد الإسرائيلى يردف :

ـ هناك وسيلة أسهل لمعرفة نوعية تلك الثياب اللامعة .. سنأتى بزوجتك ، وننزع ثوبها و ....

قاطعه (نور) فى غضب :

ـ أيها الحقير .

أطلق الإسرائيلى ضحكته الوحشية مرّة أخرى ، ثم قال :

ـ هل رأيت كيف أنه من السهل انتزاع الاعتراف منك ؟

صمت (نور) لحظة فى غضب ، ثم أحنى رأسه ، وغمغم :

ـ سأخبرك بكل شىء .

تألّقت عينا الإسرائيلى فى ظفر ، وهو يسأله فى لهفة :

ـ ما سبب وجودكم هنا ؟

أجابه (نور) فى استسلام :

ـ لست أدرى .. هناك رسالة شفرية فى ساعتى ، كان من المفروض أن أعلم منها طبيعة مهمتنا ، بعد أن ننجح فى اجتياز الحدود .

التفت الإسرائيلى الضخم فى لهفة إلى جنديين من جنود الحراسة ، وصاح :

ـ أحضرا ساعته ، وذلك السلاح العجيب .

ثم التفت إلى (نور) ، وهو يستطرد :

ـ سيخبرنا كيف نستخدمه .

لم تمض لحظات ، حتى عاد الجنديان بالساعة الذّريّة ، ومسدس اللّيزر .. فناول الإسرائيلى الضخم (نور) ساعته ، وقال فى صرامة :



كادت عينا الإسرائيلى تقفزان فى محجريهما ، وهو يحدِّق فى وجه (نور) بذهول ، فى حين قفز هذا الأخير ، والتقط مسدَّسه اللّيزرىّ

ــ هيَّا .. استخرج الشفرة ، ولكن حذار .. فهذان الجنديان سيطلقان عليك النار عند أول محاولة للخداع .

رفع الجنديان فوَّهتى مدفعيهما نحو (نور) ، وكأنهما يؤكِّدان قول الإسرائيلى الضخم ، الذى مال نحو (نور) ، وهو يقول فى اهتمام :

ــ هيَّا .. ابدأ العمل .

نقَّل (نور) بصره بين الجنديين فى هدوء ، ثم ضغط بعض الأزرار فى ساعته بتعاقب مدروس ، وهو يقول :

ــ ينبغى أولًا أن نحدِّد الإحداثيات ، ثم ....

أردف فجأة فى حِدَّة :

ــ نطلق النار .

وقبل أن تنتهى كلمته ، انطلق شعاعان من اللِّيزر من ثقبين دقيقين فى إطار الساعة ، أصاب كل منهما جنديًا ، وأرداه فى الحال .

* * *

كادت عينا الإسرائيلى تقفزان فى محجريهما ، وهو يحدِّق فى وجه (نور) بذهول ، فى حين قفز هذا الأخير ، والتقط مسدَّسه اللِّيزرىّ ، وصوَّبه إلى الرجل ، وهو يقول فى سخرية :

ـــ هل تحتاج إلى دليل جديد على قدومنا من المستقبل إيها الوغد ؟

تطلّع إليه الإسرائيلى الضخم فى رعب وذهول ، ثم عاد يعقد حاجبيه الغليظين ، ويقول فى حِدّة :

ـــ لن يمكنك أن تخدعنى باختراع أجهله .

اقترب منه (نور) ، وهو يقول فى سخرية :

ـــ هل تحب أن أجبرك على الاعتراف بذلك ؟

قال الإسرائيلى فى حنق :

ـــ من السهل أن تتبجّح ، وأنت تحمل سلاحًا فى مواجهة رجل أعزل .

تبادلا نظرات صارمة بعض الوقت ، ثم ألقى (نور) مسدسه جانبًا ، وقال فى هدوء :

ـــ حسنًا .. هأنذا أعزل مثلك .

برقت عينا الإسرائيلى ، وقال فى شراسة :

ـــ لقد حفرت قبرك بيدك أيها المصرى .

ثم انقضّ بجسده الضخم ، وعضلاته المفتولة على (نور) .

* * *

٦ ـــ الخرتيت ..

كان حجم الإسرائيلى يبلغ ضعف حجم (نور) تقريبًا ، وكانت عضلاته المفتولة ، وصرامته ووحشيته الواضحتان ، ومهنته تؤكد أنه يجيد فنون القتال ، ولا يتردَّد لحظة واحدة فى القتل .. ولكن ..

ـــ حتى فنون القتال تتطوَّر عَبْر العصور ..

ولقد كان الإسرائيلى يقاتل بأسلوب القرن العشرين ، أما (نور) ، فقد حمل قتاله روح القرن الحادى والعشرين .

قفز العملاق الإسرائيلى نحو (نور) فى وحشية ، ولكن (نور) تفادَى لكمته الساحقة بقفزة رائعة إلى اليسار ، ثم غاص إلى أسفل ، ودار على عَقِبَيْه فى سرعة عجيبة ، ثم انتصب كالصاروخ ، وهوَى بلكمة ساحقة على فكّ الإسرائيلى ، وأعقبها بأخرى كالصاعقة فى معدته ، وثالثة كالبرق فى أنفه ..

سقط الإسرائيلى أرضًا ، وتضاعفت الوحشية فى ملامحه ، وهو يمسح الدماء السائلة من أنفه ، ويقول فى شراسة :

ــ سأحطِّم عنقك أيها المصرى .

ثم قفز مرة أخرى نحو (نور) ، الذى استقبله بلكمة كالقنبلة ، هوَت على فكِّ الإسرائيلى فحطَّمته ، وألقت به مرة ثانية إلى ركن الحجرة ، وقال (نور) فى صرامة :

ــ لقد وعدتك أن تدفع ثمن صفعتك .

أمسك الإسرائيلى فكَّه فى ألم ، وزاغت عيناه ذُعرًا ، وهو يتساءل فى أعماق نفسه : كيف أمكن لـ (نور) أن يهزمه ، وهو يبلغ نصف حجمه ؟

وفجأة .. لمح الإسرائيلى المسدس اللِّيزرىّ ، فاختطفه فى سرعة ، وصوَّبه إلى (نور) ، وهو يهتف فى غضب :

ــ سأقتلك أيها المصرى .. سأقتلك .

* * *

لم يبد على وجه (نور) أى أثر للخوف أو القلق ، أو حتى محاولة الفرار من أمام الأشعة ، وإنما ابتسم فى هدوء ، وقال وهو يعقد ساعديه أمام صدره :

ــ لن يمكنك استخدامه أيها الوغد ، فهذا النوع من الأسلحة مزوَّد بما يسمى (الخليَّة الشخصية) ، وهو لا يستجيب إلَّا لأصابع صاحبه فقط ، وهذه الخليَّة لم تخترع بعد فى زمنك هذا .

اتسعت عينا الإسرائيلى ، وحاول أن يضغط زِناد المسدس الليزرىّ ، ولكنه لم يكن هناك زِناد ، وإنما دائرة مُصْمطة صغيرة ، لم يدر الإسرائيلى كيف يتعامل معها ، فقذف المسدس نحو (نور) فى غضب ، وهو يصيح :

ــ أيها الشيطان .

ثم استجمع قواه ، وقفز مرَّة أخرى نحو (نور) ، وهو يصرخ بصوت جهورى :

ــ إلىَّ يا رجال .. الأسير يحاول الهرب .

كان ينقض على (نور) كخرتيت هائج وحشىّ ، ولكن (نور) تفادى لكمته فى مهارة ، ولكَمه فى أنفه ، وفكِّه المحطَّمة ، وعنقه .. ثلاث لكمات سريعة قوية حاسمة ، جحظت بعدها عينا الإسرائيلى الضخم ، وسقط كجلمود من الصخر ..

كان (نور) يتطلَّع إلى الإسرائيلى الضخم ، الذى فقد الوعى ، حينما ارتفع صوت صارم يقول :

ــ اثبت مكانك أيها الأسير ، وإلَّا انطلقت عشرة مدافع رشَّاشة فى جسدك .

* * *

استدار (نور) فى هدوء ، يتطلَّع إلى الرجال العشرة ،

الذين يصوِّبون إليه مدافعهم الرشَّاشة ، وأمسك معصمه الأيسر بكفِّه اليمنى ، وهو يقول :

ـــ لا بأس أيها الأوغاد ، إننى لا أنوى المقاومة .

اقترب منه أحد الرجال العشرة فى حذر ، وألقى نظرة دهشة على الإسرائيلى الضخم ، ثم قال لـ (نور) فى صرامة :

ـــ كيف فعلت ذلك ؟

هزَّ (نور) كتفيه فى لامبالاة ، وقال فى هدوء :

ـــ لست أدرى .. لقد رفعت ساعتى فى وجهه هكذا .

ثم رفع ذراعه فجأة فى وجوههم ، وراحته ناحية وجهه ، وقرص ساعته الذرِّية فى مواجهتهم ، وانبعث من القرص الصغير فجأة ضوء مبهر أغشى أبصارهم لحظة ، قفز خلالها (نور) ، والتقط مسدَّسه اللِّيزرىَ ، وأطلق أشعته على فوَّهات المدافع الرشاشة العشرة ..

تراجع الإسرائيليون العشرة فى ذهول ، وهم يتطلَّعون إلى فوَّهات مدافعهم الرشَّاشة ، التى أذابتها أشعة اللِّيزر ، فى حين قال (نور) فى صرامة :

ـــ من منكم يريد مواجهة السلاح التالى ؟

ألقى الإسرائيليون أسلحتهم ، ورفعوا أذرعهم فى استسلام ورعب ، وغمغم أحدهم :

ـــ إنهم من الفضاء الخارجى ولا شك .

ابتسم (نور) ، وقال فى هدوء :

ـــ فليكن .. ما دام هذا يبدو لكم أقرب إلى التصديق .

ثم عاد يقول فى صرامة :

ـــ والآن .. سيبقى تسعة منكم فى هذه الزنزانة القذرة ، وسيصحبنى العاشر إلى حيث أجد رفاقى حتى يلتئم الفريق مرة أخرى .

* * *

أشار الجندى الإسرائيلى ، الذى وقع عليه اختيار (نور) ، إلى زنزانة قريبة ، وقال وهو يرتعد :

ـــ هنا وضعنا الأسرى الثلاثة الآخرين ، ولكن رتاج الباب من نوع خاص و ....

بتر الرجل عبارته فى ذهول ، حينما انطلقت أشعة المسدَّس اللِّيزرىَ تذيب الرتاج ، ودفع (نور) الباب بقدمه ، وهو يبتسم قائلًا :

ـــ مرحبًا يا رفاق .

هتف الثلاثة فى مزيج من الفرح والدهشة :

ـــ (نور) ؟!.. يا لها من مفاجأة !!

وتعلَّقت (سلوى) برقبته ، وهى تهتف فى سعادة :

ــ كنت أعلم أنك ستأتى يا (نور) .. أنت تصل دائمًا فى اللحظة المناسبة .

ربَّت (نور) على كتفها فى حنان ، ثم التفت إلى الجندى الإسرائيلى ، وقال :

ــ هل رأيت كيف أن تحطيم رتاجكم الخاص أمر هيِّن ؟

هزَّ الإسرائيلى رأسه فى دهشة ، ثم غمغم :

ــ خصوصية الرتاج لا تكمن فى قوته .. ولكن ....

قاطعه (رمزى) فى حِدَّة :

ــ ولكن ماذا ؟

تردَّد الجندى لحظة ، ثم قال :

ــ حينما يتحطَّم هذا الرتاج ، يرسل إشارة خاصة إلى كل رجال الحراسة فى السجن الحربى ، ويصبح الفرار من هنا مستحيلًا .

* * *

٧ ــ المقاومة ..

تبادل أفراد الفريق نظرات القلق ، بعد تصريح الجندى الإسرائيلى ، وعاد (نور) يلتفت إليه ، ويسأله فى صرامة :

ــ ماذا تعنى بأن أحدًا لن يمكنه الفرار ؟

أجابه الجندى فى خوف :

ــ فور انطلاق الإنذار ، يتم عزل هذا الجناح تمامًا ، وتضاء كل أنوار السجن ، حتى لا ينجح مخلوق فى الفرار متستِّرًا بالظلام ، وتقف هليوكوبتر متأهِّبة على سطحه ، وحولها أربعة من أبرع قناصينا بمدافعهم الرشَّاشة ، ثم يتم اقتحام هذا الجناح بواسطة فرقة متخصِّصة ، مسلَّحة بقاذفات اللهب ، وقنابل الدُّخان ، والمدافع الرشَّاشة وأوامرهم قاطعة بالسيطرة على الموقف ، أو إبادة الهاربين تمامًا بلا رحمة .

غمغم (نور) ، وهو يحدِّث رفاقه :

ــ يبدو أن الموقف بالغ الخطورة والحساسية هذه المرَّة يارفاق .

تبادل (محمود) و (سلوى) نظرات خاصة ، ثم قالت (سلوى) :

ـــ إنك تحمل ساعتك الخاصة يا (نور) .. أليس كذلك ؟

أجابها (نور) ، وهو يرفع معصمه فى مواجهتها :

ـــ بلى .. ها هى ذى .

أسرع (محمود) يقول فى انفعال وحماسة :

ـــ إن ساعتك تطلق تردُّدات صوتية عالية يا (نور) .. وجهاز الإنذار المثبَّت فى رتاج الباب متَّصل ببعض الأسلاك ولا شك .. ولو أننا أوصلنا ساعتك بالأسلاك ، وأطلقنا تردُّداتها عَبْرها ، ستطلق أجهزة الإنذار المتصلة بالأسلاك موجات قوية التردُّد ، لن يمكن لغيرنا احتمالها ، خاصةً وأننا نمتلك سدادات الأذن الخاصة ، التى كنا نستخدمها داخل مقاتلتنا ، اتقاءً لآثار السرعة الفائقة .

غمغم (نور) فى تفكير :

ـــ ولكن أسلوب إطلاق ساعتى لتردُّداتها ، يختلف عن الأسلوب السلكى ، المعروف فى هذا العصر .

أسرعت (سلوى) تحلّ ساعة (نور) من حول معصمه ، وهى تقول :

ـــ سيحتاج ذلك إلى بعض التعديل ، ولكنه سيكون أمرًا تافهًا بالنسبة لعلوم عصرنا يا (نور) .

انهمك (محمود) فى البحث عنْ الأسلاك ، وانتزاع أطرافها من الرتاج المحطَّم ، فى حين انهمكت (سلوى) فى محاولة تعديل ساعة (نور) ، والجندى الإسرائيلى يراقبهما فى دهشة .. أما (نور) فقد أخذ ينقِّل بصره بين طرفى الممرّ فى قلق ، انتظارًا لهجوم فرقة مكافحة الهروب ..

ومضت اللحظات مليئة بالقلق والتوتُّر ، وأصابع (محمود) و (سلوى) تعمل فى سرعة ومهارة ، وفجأة .. ارتفع صوت أجش صارم ، يقول عَبْر مكبِّرات صوتية :

ـــ إلى الأسرى الهاربين .. نطالبكم بالتسليم ، دون قيد أو شرط .. سنمهلكم دقيقة واحدة ، ثم تتم إبادتكم جميعًا بقاذفات اللهب .. أكرِّر .

كرَّر الرجل نداءه ، وتسارعت أصابع (سلوى) ، و (محمود) فى توتُّر ، وغمغم (رمزى) فى قلق :

ـــ يا إلٰهى !!.. هل من الممكن أن تنتهى حياتنا قبل لحظة مولدنا ؟

أما (نور) فقد قبض على مسدَّسه اللّيزرىّ فى قوة ، وعزم ،



انهمك (محمود) فى البحث عن الأسلاك ، وانتزع أطرافها من الرتاج المحطَّم .. فى حين انهمكت (سلوى) فى محاولة تعديل ساعة (نور) ..

وتحفز ، فى حين بدا الجندى الإسرائيلى فى حالة يُرْثَى لها من الرعب والفزع ، وهو يندب حظَّه العاثر ، الذى كتب عليه الموت حرقًا مع هؤلاء القادمين من المجهول ..

ومضت الدقيقة بسرعة عجيبة ، واقتحم فريق مقاومة الهرب الجناح ، وارتفعت قاذفات اللهب فى وجوه أفراد فريق (نور) ، وواجههم (نور) بمسدَّسه الليزرىّ ..

* * *

وهناك .. فى عصر آخر .. وفى حِقْبة أخرى من حِقَب التاريخ .. وفى زمن مختلف ، حيث بدأ (نور) وفريقه رحلتهم .. كان هناك رجل عجوز ، امتلأ وجهه بالتجاعيد ، وضاقت عيناه أسفل حاجبيه الكثيفين ، اللَّذيْنِ وَخطَهما الشَّيب عن آخرهما ، وامتد منهما إلى شعره القصير ، الذى بدا كنهر أبيض ناصع يغطى جانبى رأسه ، ويتناثر فوقها ، محاولًا تغطية الصلع الذى زحف إليها ، مسيطرًا على مقدمتها كلها ..

وكان هذا العجوز يقف أمام شاشة أحد أجهزة الكمبيوتر ، يتأمَّلها فى اهتمام بالغ ، وهو يغمغم محدِّثًا القائد الأعلى للمخابرات العلمية :

— استنادًا إلى هذه المعلومات من الوقود الجديد ، فانفصال ذيل المقاتلة سيؤدى إلى انخفاض وزن المقاتلة بغتةً ، مما يزيد من سرعتها .

عقد القائد الأعلى حاجبيه ، وهو يقول :

— ولكن سرعتها تقترب بالفعل من سرعة الضوء .

ابتسم العجوز ، وقال :

— فى حالة انفصال الذيل ، ستتجاوز المقاتلة سرعة الضوء يا سيادة القائد الأعلى .

رفع القائد الأعلى حاجبيه فى دهشة ، وهتف :

— لا يمكن لجسم ما تجاوز سرعة الضوء ، فنظرية (أينشتين) تقول ....

قاطعه العجوز فى هدوء ، وابتسامة واثقة :

— لقد وضع (ألبرت أينشتين) نظريته تلك عام ألف وتسعمائة وستة عشر ، ولا إخالك تظن نظريته قرآنًا أو دستورًا ، فقد مضى عليها ما يقرب من القرن ، وكل العلوم تتطوّر ، ولا سيمًا فى هذه الفترة الطويلة .

تنهّد القائد الأعلى ، وقال :

— أين ذهب (نور) وفريقه إذن ؟

التفت إليه العجوز فى هدوء ، وقال :

— سيعيدنى هذا السؤال إلى نظرية (أينشتين) مرّة أخرى أيها القائد ، وبالذات إلى تلك النقطة المتعلّقة بالسفر عَبْر الزمن .

قفز القائد الأعلى من مقعده ، وهو يهتف فى ذهول :

— السفر عَبْر الزمن ؟ هذا مستحيل !!

أجابه العجوز فى ثقة وهدوء :

— ليس مستحيلًا يا سيّدى .

لوّح القائد الأعلى بذراعه فى حِدّة ، وهو يقول :

— لو أن ما تقوله صحيح ، فسيعنى هذا أن فريق (نور) قد فُقِدَ إلى الأبد .

اتسعت ابتسامة العجوز ، وتألّقت عيناه ببريق عجيب ، وهو يقول :

— سيعودون أيها القائد .

التفت إليه القائد الأعلى ، وسأله فى دهشة :

— كيف ؟

صمت العجوز لحظة ، ثم قال :

— هل تثق بى ؟

قلَّب القائد الأعلى كفَّيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ــ بالطبع .. لقد اخترتك بالذات ، على الرغم من تقاعدك منذ زمن طويل ؛ لأننى أثق بآرائك العلمية تمامًا .

ابتسم العجوز مرة أخرى ، وأومأ برأسه فى بطء ، وهو يقول فى تأكيد وثقة :

ــ سيعودون .



٨ ــ الهروب ..

ارتفعت قاذفات اللَّهب الإسرائيلية ، فى مواجهة مسدس (نور) اللِّيزرىّ ، وبدا الأمر أشبه بالانتحار ، حينما أطلق (نور) أشعة مسدَّسه اللِّيزرىّ ، وصرخ قائد فريق الإسرائيليين :

ــ أمطروهم بالنيران .. أريد أن ....

وفجأة .. بتر الرجل عبارته ، وجحظت عيناه ، وأطلق صرخة عالية ، وهو يحاول سدّ أُذنيه بكفَّيه ، وسقط فريق المقاومة الإسرائيلى ، وسقط الجندىّ المرافق للفريق ..

سقط الجميع فى كل أنحاء السجن ، عدا (نور) ، وفريقه ..

وزفرت (سلوى) ، وهى تقول :

ــ يا إلٰهى !! .. لقد انتهيت من التعديل فى اللحظة المناسبة .

لم يسمعها أحد ؛ بسبب واقيات الآذان ، وأشار (نور) إلى رفاقه أن يتبعوه ، وانطلق الجميع يتجاوزون الأجساد المرتمية ، فى طريقهم إلى سطح السجن ، حيث تقبع الهليوكوبتر .. وتوقَّفوا أمامها لحظة ، ثم قفز (نور) إليها ، وأدار محركها ، وهو يغمغم :

ـــ يا إلهى !!.. إننى لم أرَ مثل هذا الطراز إلّا فى كتب التاريخ ، تُرى هل سيمكننى قيادتها ؟

وعلى الرغم من تشكُّكه ، نجح فى الارتفاع بالهليوكوبتر ، وانطلق بها مبتعدًا ، وتنفَّس أفراد الفريق الصُّعَداء ، وهتفت (سلوى) ، وهى تنزع واقية الأذن :

ـــ أعتقد أننا نجحنا فى الهرب ، فى الوقت المناسب .

سألها (رمزى) ، وهو ينزع واقية الأذن بدوره :

ـــ ماذا تقولين ؟

أشارت إلى مبنى السجن ، الذى يبتعد بسرعة ، وابتسمت وهى تقول :

ـــ لن تحتمل ساعة (نور) هذا التبديل طويلًا .

ولو أنها استطاعت النفاذ ببصرها إلى حيث تركت الساعة ، لكشفت كم كان توقيتها سليمًا ..

لقد انفجرت ساعة (نور) ، بعد أن أدَّت مهمتها بنجاح .

* * *

استمع وزير الدفاع الإسرائيلى إلى قائد السجن الحربىّ فى غضب ، ثم لوَّح بذراعه قائلًا :

ـــ إذن فهؤلاء الأسرى يمتلكون تكنولوجيا متقدِّمة ..

لا أظن أنهم مصريون .. فحتى الولايات المتحدة الأمريكية ، لم تبلغ هذا القدر من التقدُّم بعد ، وإلا علمنا .

سعل مدير السجن ، قبل أن يقول :

ـــ إنهم لم يعودوا أسرى يا سيادة وزير الدفاع .. إنهم الآن هاربون .

ضاقت عين وزير الدفاع الإسرائيلى ، وتراقصت العِصابة السوداء على عينه الأخرى لحظة ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـــ لن يستمر ذلك طويلًا ، لقد أمرت طائراتنا بمهاجمة الهليوكوبتر ، وإسقاطها براكبيها .

غمغم قائد السجن فى تشكُّك :

ـــ هل تظن ذلك هيِّنًا ، مع وجود تلك الوسائل المتقدِّمة مع الغرباء يا سيِّدى ؟

مطَّ وزير الدفاع شفتيه لحظة ، ثم غمغم :

ـــ لابُدَّ أن نحاول على الأقل .

وساد الصمت تمامًا فى حجرة وزير الدفاع الإسرائيلى .

* * *

انطلقت الهليوكوبتر الإسرائيلية يقودها (نور) ، وسط الظلام المخيِّم على المنطقة ، وساد الصمت داخلها طويلًا ، قبل أن يغمغم (رمزى) :

— إلى أين نذهب يا (نور) ؟
مطَّ (نور) شفتيه ، وقال :
— لست أدرى يا (رمزى) . إننى أبتعد فحسب .
ساد الصمت المشوب بالحَيْرة لحظة أخرى ، قبل أن تقول (سلوى) :
— لابُدّ أن نتّجه إلى حيث مقاتلتنا ، وإلّا فما نجحنا فى العودة إلى عصرنا أبدًا .
أجابها (نور) فى هدوء :
— ينبغى أن نحدّد موقعنا أولًا يا عزيزتى .. هذا إذا كان الإسرائيليون قد تركوها فى مكانها .
وفجأة .. هتف (محمود) فى توتُّر :
— أنصتوا .
أصغى الجميع فى انتباه ، ثم عقد (نور) حاجبيه ، وغمغم فى قلق :
— إنها طائرات نفَّاثة ، وأعتقد أنها فى طريقها لمهاجمتنا .
هتفت (سلوى) فى جزع :
— وهل يمكننا مقاومتها يا (نور) ؟
هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول فى توتُّر :

— لا أعتقد ذلك للأسف يا (سلوى) .. فطبقًا لكتب التاريخ العسكرى ، تبلغ سرعة تلك النفَّاثات أضعاف سرعة الهليوكوبتر ، ثم إن هذه الهليوكوبتر بالذات ليست من النوع المقاتل ، وإنما هى مهيَّأة لمطاردة الأفراد فحسب .
وفجأة .. ظهرتِ الطائرات النفَّاثة المقاتلة ، وعَبَرت إلى جوار الهليوكوبتر تمامًا ، ممَّا أدَّى لفقدانها توازنها لحظة ، قبل أن ينجح (نور) فى السيطرة عليها ، ويهتف (رمزى) :
— استخدم مسدَّسك اللّيزرىّ يا (نور) .
قال (نور) فى حِدَّة :
— لن يمكننى القيادة ، وتفادى النيران ، وإطلاق مسدَّسى فى الوقت ذاته يا (رمزى) .
ثم عقد حاجبيه فى صرامة ، وهو يستطرد :
— ولكن هناك وسيلة أفضل .
وانخفض فجأة بالهليوكوبتر ، وانطلق بها على ارتفاع عشرة أمتار فقط من سطح الأرض ، فهتف (محمود) :
— ماذا تفعل يا (نور) ؟
أجابه (نور) فى صرامة :
— اقفزوا جميعًا .. هيَّا .. قبل أن ينسف هؤلاء الأوغاد الهليوكوبتر .

تردَّد الرفاق لحظة ، ولكن (نور) صرخ فى صرامة :

ـــ هيًّا .

وفى نفس اللحظة انهمر وابل من الـــرصاصات على الهليوكوبتر .

* * *

كان للرصاصات الإسرائيلية أثر قوىٌّ ، فقد قفز (رمزى) و (محمود) فى الحال ، وأنقذتهما رمال الصحراء من أثر السقوط ، فى حين انفجرت (سلوى) بالبكاء ، وهى تقول :

ـــ لن أتركك وحدك يا (نور) .

انخفض (نور) مرة أخرى بالهليوكوبتر ، حتى كاد يلاصق الأرض ، وصاح بها فى صرامة :

ـــ اذهبى يا (سلوى) .. اذهبى .

هتفت فى حزن وعناد :

ـــ لن أتركك وحدك .

كانت المقاتلات تعاود انقضاضها على الهليوكوبتر فى هذه اللحظة ، وقد استعدت لإطلاق صواريخها ، فصاح (نور) :

ـــ اقفزى يا (سلوى) .. أرجوك .

صاحت فى صرامة :

ـــ إذا كان الموت قدرنا ، فلنمت معًا .

تخلَّى (نور) فجأة عن عصا القيادة ، واندفع نحو (سلوى) صائحًا :

ـــ فليكن يا (سلوى) .. سنذهب معًا .

وبقفزة ماهرة ، أحاط وسط زوجته بذراعيه ، واندفع كلاهما خارج الهليوكوبتر ، فى نفس اللحظة التى أصابها فيها صاروخ مباشر ..

سقط (نور) و (سلوى) فى الرمال ، وغطَّى (نور) جسد زوجته بجسمه ، ليقيها الشظايا التى انطلقت من انفجار الهليوكوبتر ، الذى أضاء السماء المظلمة كلها ، قبل أن يعود السكون والظلام ، إلَّا من صوت المقاتلات وهى تبتعد ..

مضت لحظة من الصمت والسكون ، قبل أن ينهض (نور) ، ويعاون زوجته على النهوض ، وينفض كلاهما الرمال عن ثيابه ، وغمغمت (سلوى) :

ـــ يا إلهى !!.. إنه أطول يوم قضيته فى حياتى كلها .

أشار (نور) إلى الشفق ، الذى بدأ يتلَّون بضوء أحمر خافت ، وقال :

وبقفزة ماهرة ، أحاط وسط زوجته بذراعيه ،
واندفع كلاهما خارج الهليوكوبتر ..

ـ لقد أصبحنا فى الثانى من يونيو يا عزيزتى ، هاهى ذى شمس الفجر تشرق .

وفجأة .. التصقت فوّهة باردة بظهره ، وسمع صوتًا صارمًا يقول :

ـ ملحوظة طريفة يا فتى.. حذار أن تستدير قبل أن تجيب سؤالى ، أى جانب تؤيد : الإسرائيليين أم الفلسطينيين ؟.. فكِّرْ جيّدًا قبل أن تجيب ، فلن تكون هناك فرصة ثانية .



٩ ــ الأصدقاء ..

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يستمع إلى تلك اللهجة الصارمة ، وارتجفت (سلوى) فى خوف ، ولكن (نور) أجاب فى صرامة مماثلة :

ــ إننى مصرىّ ، ومن الطبيعى أن أختار الفلسطينيين .

ابتعدت الفوهة الباردة ، وتبدَّلت نبرات الصوت ، وصاحبه يهتف فى دهشة :

ــ مصرىّ ؟!.. ماذا تفعل هنا بحقِّ السماء ؟.

استدار (نور) و (سلوى) فى بطء ، وطالعتهما عينان زرقاوان ، يحيط بوجه صاحبهما ذلك الدِّثار الأبيض المحلَّى بالخيوط الحمراء المتقاطعة ، والذى كان يميِّز رجال المقاومة الفلسطينية فى الستينات ، فهتفت (سلوى) فى فرح :

ــ يا للحظ الحسن !! أنت فلسطينى ؟

أزاح الرجل لثامه ، فبدت ملامحه الرجولية القويَّة ، وهو يقول :

ــ بالطبع .. وأنا أفخر بذلك .. ولكن ما معنى ثيابكم اللامعة هذه ، ومعركة الطائرات التى نجوتم منها بأعجوبة ؟

ابتسم (نور) ، وهو يمد يده لمصافحته قائلًا :

ــ أنا الرائد (نور الدين) .. من المخابرات الـ .. المصرية ، وقصتنا ستحتاج إلى وقت طويل ، وشرح معقَّد .

صافحه الرجل فى قوَّة وحرارة ، وهو يقول :

ــ وأنا (نضال فايد) .. قائد المقاومة الفلسطينية فى قطاع (تل أبيب) ، وسيسعدنى سماع قصتكم فى مقرنا .

ابتسم (نور) مرَّة أخرى ، وهو يقول :

ــ سنبحث عن رفيقينا أولًا و ....

قاطعه (نضال) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ إنهما بخير .. اطمئن .. لقد التقطهما رجالى منذ قليل .

ثم ابتسم ، وهو يردف فى حسم :

ــ وأنتم جميعًا تحتاجون إلى نوم عميق قبل أن نتحدث .. فمن الواضح أن أحدكم لم يذُق النوم منذ فترة طويلة .

وختم حديثه بعبارة مقتضبة حازمة :

ــ مرحبًا بكم .

* * *

لم يشعر (نور) فى حياته كلها بمثل هذا النشاط ، حينما استيقظ من مخبإ رجال المقاومة ، وبدا له المكان أنيقًا نظيفًا ، على الرغم من أنه كان مجرَّد مغارة فى الجبل ، ثم تم نقل بعض الأثاث والمعدات إليها ، وتنظيمها على نحو يسمح بمعيشة عدد كبير من الأفراد ، وكان رجال المقاومة يتعاملون معه ومع رفاقه فى ودٍّ واحترام ، وسأل (نور) أحدهم فى اهتمام :

ــ أين (نضال) ؟

ابتسم الشاب ، وقال :

ــ لم يعد من عمله بعد .

ارتفع حاجبا (نور) فى دهشة ، وهو يقول :

ــ عمله ؟!

أطلق الشاب ضحكة مرحة قصيرة ، وقال :

ــ هل تظن أن مقاومة الاحتلال عملنا ؟.. إن لكل منَّا عملًا آخر ، وإلَّا كان من السهل التقاط أفراد المقاومة من وسط المتعطِّلين .

ابتسم (نور) وهو يسأله فى اهتمام :

ــ وفيمَ يعمل (نضال) ؟

تردَّد الشاب لحظة ، ثم قال :

ــ هو وحده صاحب الحق فى إجابتك يا سيِّدى .

وهنا جاء صوت (نضال) من خلف (نور) يقول فى هدوء :

ــ ماذا تريد أن تعرف أيها الرائد ؟

التفت إليه (نور) فى هدوء ، ثم ارتفع حاجباه فى دهشة ، فقد كان (نضال) يبدو مختلفًا تمامًا فى حُلَّته السوداء الأنيقة ، ورباط عنقه المعقود فى مهارة ، وشعره الكامل السواد ، المصفَّف فى عناية ، حتى أن (نور) هتف :

ــ يا إلهى !!.. لولا صوتك ما عرفتك يا (نضال) .

ابتسم (نضال)ابتسامة خافتة ، وقال :

ــ عملى يتطَّلب هذا المظهر الأنيق .

ثم أردف ، وهو يلِّوح بكفِّه :

ــ من يتصوَّر أن (نضال فايد) أستاذ الفيزياء بجامعة (تل أبيب) ، والذى يبدو دائمًا متألِّقًا أنيقًا هو نفسه قائد المقاومة ، الذى تبحث عنه السلطات الإسرائيلية ليلًا ونهارًا .

ضحك (نور) ، وهو يقول :

ــ أعتقد أنها تغطية رائعة .

ابتسم (نضال) نفس الابتسامة الشاحبة ، وقال :

ـــ والآن يا ضابط المخابرات المصرى ، كلى آذان صاغية لسماع قصتك ، وأعتقد أن الفضول يملؤنى حتى الأعماق .. فلقد رأيت زملاءك منهمكين فى دراسة معادلات معقَّدة ، لم أفهم معادلة واحدة منها ، على الرغم من أننى أحمل شهادة الدكتوراه فى الفيزياء ، والعلم يستهوينى طوال أعوامى الأربعين .

تنهَّد (نور) ، وقال :

ـــ هذا جزء من قصتنا العجيبة يا (نضال) ، وإننى أتساءل هل ستصدِّقنا ؟

هتف (نضال) فى حماس :

ـــ إننا نصدِّق المصريين دومًا يا صديقى ، فرئيسهم البطل (جمال عبد الناصر) ، هو أملنا فى تحرير أرضنا المحتلة ، ألم تسمعه وهو يهدِّد بإلقاء (إسرائيل) فى البحر ؟

صمت (نور) لحظة ، ثم أجاب فى خفوت :

ـــ التهديد شىء ، والتنفيذ شىء آخر ياصديقى .

عقد (نضال) حاجبيه ، وقال فى انفعال :

ـــ سيفعلها (عبد الناصر) .. لقد أغلق خليج العقبة فى وجوههم ، وسوف .....

قاطعه (نور) فى هدوء :

ـــ لا ينبغى أن تضع آمالًا عريضة ، استنادًا إلى ذلك يا صديقى .

سأله (نضال) فى حِدَّة :

ـــ هل أنت مناهض لنظام حكم الرئيس (عبد الناصر) ؟

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ لا يا صديقى ، فلا شأن لى بـ (عبد الناصر) ، أكثر مما قرأته عنه .

هتف (نضال) فى انفعال :

ـــ لماذا تشكك فى قدرته على هزيمة (إسرائيل) إذن ؟

زفر (نور) فى قوة ، وقال فى صرامة :

ـــ اسمعنى يا (نضال) ، سيهاجم الإسرائيليون (مصر) ، صباح الخامس من يونيو وسيحطِّمون كل المطارات الحربية المصرية ، فى الهجمة الأولى ، وسيهزمون مصر هزيمة نكراء ، ستعرف فى التاريخ باسم (نكسة يونيو) ، وبعدها بثلاث سنوات سيلقى (عبد الناصر) ربَّه ، وسيتولَّى (أنور السادات) حكم البلاد و ....

هتف (نضال) فى سخط واستنكار :

ـــ (أنور السادات) ؟!.. رئيس مجلس الأمة ، إنه أبعد

شخص عن الحكم !.. لو أن (السادات) تولّى حكم مصر ، فلن تهزم (إسرائيل) قط .

تنهّد (نور) ، وقال :

ـــ بالعكس يا (نضال) ، سيذيق المصريون (إسرائيل) أوّل هزيمة فى حياتها بقيادة (أنور السادات) ، فى أكتوبر عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين ، وبعدها .....

قاطعه (نضال) فى صرامة :

ـــ مهلًا أيها الرائد .. كيف تتحدث عن أحداث مستقبلية بهذه الثقة ؟ .. هل تدَّعى قدرتك على قراءة الغيب ؟

صمت (نور) لحظة ، ثم أجاب فى هدوء :

ـــ ما أخبرك به ليس غيبًا بالنسبة لى يا (نضال) .. إنه تاريخ .

اتسعت عينا (نضال) فى دهشة ، وهو يغمغم :

ـــ تاريخ ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

ـــ نعم يا (نضال) .. وهذا هو وجه الغرابة فى قصتنا .

ثم صمت لحظة ، قبل أن يردف فى بطء :

ـــ لقد أتينا من القرن الحادى والعشرين .. من عام ألفين وأربعة بالتحديد .

* * *

١٠ ـــ الحقيقة المذهلة ..

ظلَّ (نضال) صامتًا ، متسع العينين ، حتى بعد أن انتهى (نور) من قصته ، ثم هزَّ رأسه فى قوة ، وكأنه ينفض عن نفسه الذهول ، قبل أن يقول :

ـــ صدِّقنى أيها الرائد (نور) .. إننى ألمح نبرات الصدق فى صوتك ، ولكن قصتك تبدو عجيبة ومذهلة للغاية .

غمغم (نور) :

ـــ ولكنها حقيقة .

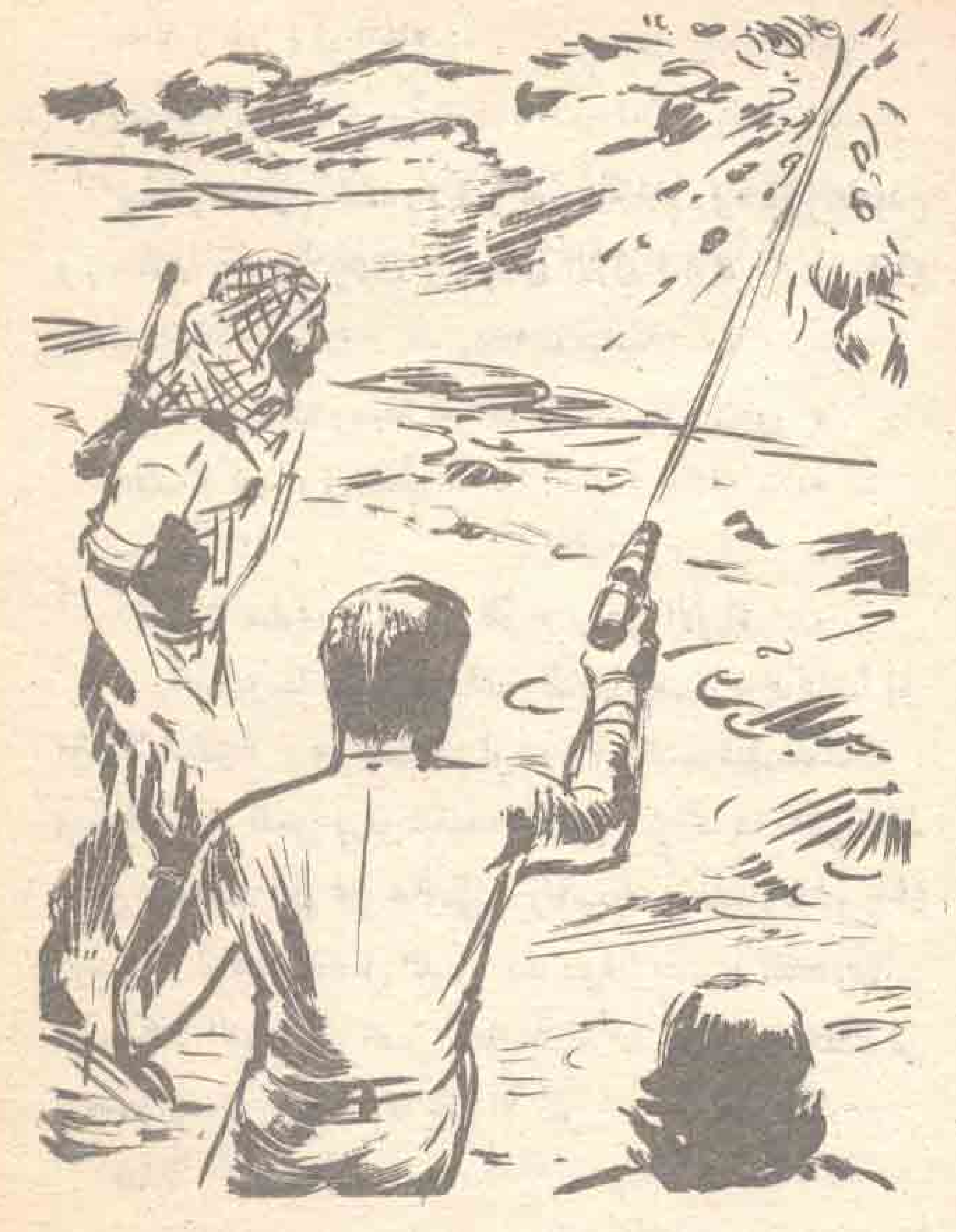
ـــ حقيقة أغرب من الخيال .

ـــ حتى مع دراستك العلمية ؟

ـــ أنت لا تفهمنى .. إن دراستى العلمية بالذات ، هى ما يجعل الأمر عسيرًا .

ـــ كيف ؟

ـــ نظرية (أينشتين) تقول إن تجاوز سرعة الضوء مستحيل .



عند هذه النقطة أخرج (نور) مسدَّسه اللِّيزرى ، وصوَّبه إلى قطعة صخر قريبة ..

ـ وتجربتنا الشخصية تؤكد أن هذا ممكن .

ـ أريد دليلا قويًا .

ـ ألا تكفيك ثيابنا ، ومطاردة الإسرائيليين لنا ؟

ـ أريد دليلًا أقوى .

عند هذه النقطة أخرج (نور) مسدَّسه اللِّيزرىّ ، وصوَّبه إلى قطعة صخر قريبة ، وقال :

ـ هل يكفيك هذا ؟

وانطلقت أشعة اللِّيزر تثقب الصخر ، فاتسعت عينا (نضال) فى دهشة ، ثم عقد حاجبيه ، وغمغم :

ـ إنها أشعة ليزر .. أليس كذلك ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، فابتسم (نضال) ، وقال :

ـ هل أمكنهم تصغير الأجهزة التى تطلقها إلى هذا الحدّ فى عصرك ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ بل أصغر من ذلك .

هزَّ (نضال) رأسه ، وقال :

ـ التطوُّر العلمى لا يتوقَّف أبدًا .

سأله (نور) فى اهتمام :

ــ هل اقتنعت ؟

تردَّد (نضال) لحظة ، وحينما همَّ بالكلام ، وصل (محمود) و (سلوى) ، و (رمزى) ، وقال الأول لـ (نور) فى اهتمام شديد :

ــ لقد وجدنا وسيلة لعودتنا إلى عصرنا يا (نور) .

هتف (نور) فى لهفة :

ــ حقًّا ؟!

أجابته (سلوى) ، وهى تلوِّح ببعض الأوراق :

ــ لقد درسنا كل الظروف والاحتمالات ، وحوَّلناها إلى معادلات ثابتة .. ووجدنا أنه لو أمكننا تركيب ذيل للمقاتلة ، يساوى وزنه نفس وزن ذيلها الأصلىّ ، واتخذنا نفس خط السَّير ، ولكن على نحو عكسىّ ، وباستخدام نفس التدرُّج فى السرعة . ثم قمنا بفصل الذيل عند بلوغنا السرعة القصوى .. فسيمكننا العودة إلى نفس نقطة انطلاقنا ، بنسبة خطإ لن تتجاوز يومين ، أو أسبوعًا على الأكثر .

سألها (نور) :

ــ وما الذى يضمن أننا لن نزداد توغُّلًا فى الماضى ؟

أجابه (محمود) :

ــ لن نفعل ؛ لأننا سننطلق فى عكس اتجاه دوران الأرض ، وسيدفعنا هذا إلى المستقبل ، على عكس المرَّة الأولى ، التى كنا ننطلق فيها فى اتجاه دوران الأرض ، مما جعلنا نقفز إلى الماضى .

صمت (نور) مفكِّرًا فى عمق ، فى حين قال (نضال) فى هدوء :

ــ هناك خطآن فى هذه الخُطَّة .

سألته (سلوى) فى اهتمام :

ــ ما هما ؟

جلس فوق صخرة كبيرة ، وهو يقول :

ــ أولهما أن البشر ، مهما بلغت دقَّته ، لا يمكنه القيام بالخطوات ذاتها مرتين ، وأى خطإ ، ولو بسيط ، فى خُطَّتكم هذه ، قد يدفعكم إلى عصر آخر ، فى الماضى البعيد ، أو المستقبل .

ابتسم (محمود) ، وقال :

ــ لقد درسنا هذه النقطة أيضًا ، وأكَّد لنا (رمزى) ، بصفته الطبيب النفسىّ ، المتخصِّص فى الانفعالات البشرية ، أن ذلك مستحيل ؛ لذا فقد قرَّرنا برمجة كل هذه المعادلات ،

فى الكمبيوتر الخاص بالقيادة الآليَة فى المقاتلة ، بحيث تنطلق فى رحلتها العكسية دون تدخُل بشرىَ .

تطلَع إليه (نضال) لحظة فى شك ، ثم لوَح بذراعه ، وهو يقول :

— لن أسألكم عن حجم الكمبيوتر فى مقاتلتكم ، فالكمبيوتر فى عصرى هذا يحتاج إلى طابق كامل فى بناية كبيرة ، ولكننى أتساءل كيف سيمكنكم وضع البرنامج ، ما دمتم بعيدين عن المقاتلة ؟

خلع (محمود) منظاره الطبىَ ، وقال وهو يبتسم :

— سنضع البرنامج فى الكمبيوتر الشخصى الخاص بى ، ثم ننقله إلى كمبيوتر المقاتلة ، حينما نصل إليها .

ثم ناول المنظار لـ(نضال) ، وهو يقول :

— ضعه على عينيك ، واضغط الزر فى أعلاه .

وضع (نضال) المنظار على عينيه فى حذر ، وضغط الزرّ ، ثم شهق فى دهشة ، فقد اختفت شفافية عدسات المنظار بغتةً ، وتحوَلت إلى لون زيتونى داكن ، وتراصت فوقها كلمات تؤكد استعداد الكمبيوتر للعمل ، وانتظاره للأوامر ، فأسرع (نضال) ينتزع المنظار عن عينيه ، وهو يقول فى حماسة :

— لقد اقتنعت بقصتكم تمامًا أيها السادة .

ثم أردف فى قلق :

— ولكن هناك نقطة ما زالت تعُوق عودتكم إلى عصركم .

غمغم (نور) :

— استعادتنا للمقاتلة .. أليس كذلك ؟

هتف (نضال) فى انفعال :

— بلَى .. ولكننى أعرف مكانها على الأقل .

تبادل أفراد الفريق نظرات الأمل فى لهفة ، وهتف (نور) :

— كيف ؟

أجابه (نضال) فى حماسة :

— لقد ذهبت لفحصها بصفتى أستاذًا فى الفيزياء ، مع نخبة من العلماء ، تحت حراسة مشدَدة صباح اليوم .. ولقد أدهشنا معدنها الصلب دهشة بالغة ، وعجزنا جميعًا عن فتحها .

ثم أردف ، وهو يعقد حاجبيه فى تفكير :

— ولكن الإسرائيليين يشدِّدون الحراسة حولها ، فهناك خمسة وعشرون جنديًا مدجَّجًا بالسلاح ، وأضواء كاشفة ، ودبَّابتان .

ساد الصمت بين أفراد الفريق ، ثم غمغمت (سلوى) فى يأس :

ــ وهناك نقطة سلبية أخرى ، فكيف سيمكننا صنع الذيل ؟

ابتسم (نضال) ، وقال فى هدوء :

ــ أعتقد أننى أملك حلّ هذه المشكلة يا سيّدى .

وقبل أن يسأله أحدهم عمّا يعنيه ، أردف فى اهتمام :

ــ إن الإسرائيليين يمتلئون باللهفة ، لحلّ أى غموض يتعلّق بمقاتلتكم .. ولو أنكم وضعتم تصميمًا للذيل الذى تريدونه ، وقدّمته أنا للسلطات غدًا ، مدّعيًا أننى توصّلت إليه بعد دراستى للمقاتلة ، فسيسارع الإسرائيليون بصنعه ، وتركيبه ، عسى أن يقودهم إلى حلّ اللّغز .

هتفت (سلوى) فى لهفة :

ــ هل تعتقد ذلك ؟

ثم عادت ملامحها إلى يأسها ، وهى تقول :

ــ ستبقى عندئذ أكبر مشكلة ، ألا وهى استعادتنا المقاتلة .

عقد (نور) حاجبيه ، وقال :

ــ علينا أن نحاول يا عزيزتى ، وإلّا بقينا إلى الأبد أسرى الزمن ، وضاعت حياتنا عَبْر ثقب فى التاريخ .

* * *

١١ ــ خُطَّة العمل ..

اتسعت ابتسامة (نضال) فى اليوم التالى ، وهو يقول فى حماسة :

ــ لقد نجحنا أيها الأصدقاء .

سأله (رمزى) فى لهفة :

ــ هل وافقوا على صنع الذيل ؟

ضحك وهو يقول :

ــ بل لقد بدءوا تصنيعه بالفعل ، وسيضيفونه إلى مقاتلتكم صباح الغد .

أطلق (محمود) صفيرًا طويلًا ، وهو يقول :

ــ بهذه السرعة ؟!

أومأ (نضال) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ إنهم شديدو اللهفة للانتهاء من هذا الأمر ، وكأنهم مُقْدِمون على شىء بالغ الخطورة .

وصمت لحظة ، ثم أردف فى ضيق :

ـــ ولعلّهم يستعدُّون حقًّا لتلك الحرب بعد غد .

تبادل أفراد الفريق نظرات آسفة ، ثم سأله (نور) فى اهتمام :

ـــ وماذا عن المقاتلة نفسها ؟

أجابه (نضال) فى اهتمام :

ـــ رجالنا يراقبونها منذ فجر اليوم ، ويقولون إن الدوريَّات تتبدَّل لحراستها فى الثامنة صباحًا ، والثامنة مساءً .

سأله (نور) :

ـــ هل عرفوا الطريق الذى تقطعه الدوريَّة الجديدة ؟

أومأ (نضال) برأسه إيجابًا ، فتألَّقت عينا (نور) ، وقال فى اهتمام :

ـــ حسنًا .. أعتقد أننا سننجح فى استعادة مقاتلتنا ـــ بإذن الله ـــ يا رفاق .

ثم انطلق يشرح لهم خُطَّته فى حماسة ..

* * *

فى وقت آخر .. فى زمن (نور) ورفاقه ، كان القائد الأعلى يجلس فى قلق شديد ، أمام الدكتور (عبد الله) ، مدير معمل الأبحاث التابع للإدارة ، والذى يقول فى توتُّر :

ـــ لماذا تثق فى هذا العجوز يا سيِّدى ؟.. إن نظرياته لا تتفق أبدًا مع القواعد العلمية المعروفة .

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، وقال :

ـــ إنه يبدو واثقًا للغاية يا دكتور (عبد الله) .

هتف الدكتور (عبد الله) فى حنق :

ـــ إنه عجوز مخرِّف ، إننى لا أثق فى كلمة واحدة مما يقول .

هزَّ القائد الأعلى رأسه ، وقال :

ـــ إننى أميل لتصديقه يا دكتور (عبد الله) ، ربَّما لأننى أتمنَّى عودة (نور) ورفاقه ..

غمغم الدكتور (عبد الله) فى ضيق :

ـــ كلنا نتمنَّى ذلك يا سيِّدى ، ولكن ....

قاطعه القائد الأعلى بإشارة من يده ، وقال :

ـــ كَفَى يا (عبد الله) .. إننا نتمسَّك بالأمل فحسب .

ثم أردف فى حزن :

ـــ وأنا أتمنَّى من كل قلبى أن يُوَفِّق الله (سبحانه وتعالى) فريق (نور) ، فى أى مكان ، أو أى زمان كانوا .

* * *

تنهَّدت (سلوى) ، وقالت وهى تتحسَّس المدفع الرشاش ، الذى أعطاها إيَّاه (نضال) :



ابتسم (نور) ، وصوَّب مدفعه الرشّاش إلى الأهداف ، وأطـلق النـار ..

ــ كم يزداد شعورى بأننا نعيش حلمًا مزعجًا ، كلما رأيت هذه الأسلحة القديمة ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

ــ هل تعلمين أننى أتمنَّى إطلاق أحدها يا (سلوى) ؟

غمغم (نضال) فى جِدِّية :

ــ ولِمَ لا ؟

ثم التقط مدفعًا رشَّاشًا ، وناوله لـ (نور) ، وهو يقول :

ــ اصحبنى إلى حجرة التدريب .

سارا إلى كهف ثان ، يفصله جدار صخرى ضخم عن الكهف الرئيسىّ ، وأشار (نضال) إلى عدة أهداف مثبَّتة على الجدار ، وقال :

ــ هيَّا .. أنا أيضًا أريد أن أعرف ، هل تجيد إطلاق الرّصاص ، كمهارتك فى إطلاق أشعة الليزر .

ابتسم (نور) ، وصوَّب مدفعه الرشَّاش إلى الأهداف ، وأطلق النار ..

أصاب (نور) هدفين فى دِقَّة ، ثم تأوَّه فى قُوَّة ، فسأله (نضال) فى جزع :

ــ ماذا أصابك ؟

ابتسم (نور) فى شحوب ، وقال :

ــ إنه جُرْح ذراعى .. لم يكن يؤلمنى فى البداية ، فهو مجرَّد خدش سطحى ، ولكن يبدو أننى أحتاج إلى بعض الـ(سيمانيولين) .

عقد (نضال) حاجبيه ، وغمغم :

ــ الـ.. ماذا ؟

ضحك (نور) ، وهو يقول :

ــ إنه نوع متطوِّر من مضادات البكتريا ، ولا أعتقد أنه معروف فى هذا العصر .

أومأ (نضال) برأسه متفهِّمًا ، وقال :

ــ إنه ارتداد المدفع الرشَّاش الذى أثار آلام جُرْحك .. فأسلحة الليزر لا تعطى ردًّا عكسيًّا ، كما تفعل الأسلحة الناريَّة .. وأنا أعتقد أنك لم تتعامل من قبل مع أسلحة لها ردّ فعل .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ هذا صحيح .. هيَّا بنا نعود إلى الـ....

أوقفه (نضال) فجأة ، وسأله فى تردُّد :

ــ بالنسبة لنكسة يونيو .. هل أنت واثق من معلوماتك ؟.. أعنى هل ....؟

قاطعة (نور) فى هدوء :

ــ إنه تاريخ فى عصرنا يا صديقى ، وأنا أهوى دراسة التاريخ .

ظهر الحزن على وجه (نضال) ، وقال :

ــ لقد حاولت إنذار المسئولين فى مصر ، ولكننى لم أنجح حتى الآن .

ربَّت (نور) على كتفه ، وقال :

ــ إنه تاريخ .

هتف (نضال) فى حنق :

ــ ألا يمكن تبديل التاريخ ؟

ابتسم (نور) فى إشفاق ، وقال :

ــ سنناقش هذا فيما بعد يا (نضال) ، فنحن نستعد الآن لمهاجمة دوريَّة حراسة المقاتلة .

أومأ برأسه إيجابًا ، وغمغم دون أن يزايل الحزن نبراته :

ــ نعم .. قد ينتهى التاريخ بالنسبة إلينا غدًا .

* * *

١٢ ـــ الرابع من يونيو ..

ساد الصمت التام فى ذلك المعبر الجبلىّ ، الذى يتوسّط الطريق بين (تل أبيب) ، ومقاتلة القرن الحادى والعشرين ، القابعة على رمال (النقب) ، واتجهت عيون (نور) وفريقه و(نضال) ، ورجال المقاومة الفلسطينية ، إلى المعبر الجبلى ، وقلوبهم تنبض فى قوة ، انتظارًا لمرور دوريَّة الحراسة ، وتطلَّع (نضال) إلى ساعته ، وهو يغمغم :

ـــ ستظهر الدوريَّة بعد خمس دقائق بالضبْط .

همس (نور) :

ـــ هل درس رجالك الخُطَّة جيِّدًا ؟

ابتسم (نضال) ، وقال :

ـــ اطمئن .. إنهم معتادون على مثل هذه الهجمات .

عاد الصمت يسيطر على المنطقة لحظة أخرى ، ثم غمغم (نضال) :

ـــ هل تريد نصيحتى أيها الرائد ؟.. حذار أن تَبُوح بسرّ

السفر عَبْر الزمن ، حينما تعود إلى عصرك .. فأنا سأحتفظ بأمركم سرًا ، وأعتقد أن الإسرائيليين لن يبوحوا به أبدًا .

سأله (نور) :

ـــ لماذا ؟

هزَّ (نضال) كتفيه ، وقال :

ـــ إنك لا تتصوَّر خطورة ذلك ، لو كشف عصر ما سرّ السفر عَبْر الزمن ، قد يؤدِّى إلى انهيار التاريخ كله .. حاول أن تتخيَّل ما يمكن أن تفعله دولة تملك هذا السرّ ، بزعماء الدول المناهضة لها ، إذا ما أمكنهم السفر إلى عصر مولد هؤلاء الزعماء ، وقتلهم فى المهد .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ سيكون هذا خطيرًا للغاية .

وفجأة .. أمسك (نضال) ذراع (نور) فى قوّة ، وهمس فى انفعال :

ـــ لقد حانت لحظة القتال .

ولمح (نور) أضواء الدبَّابة الأولى ، وهى تعبُر المعبَر الجبلىّ ، فى الثامنة إلّا الثلث تمامًا .

* * *

أشار (نضال) إلى رجاله فى صمت ، فانطلقوا كالفهود فى دروب الجبل ، وكل منهم يحمل مدفعه الرشَّاش ، وانتظر الجميع فى هدوء ، حتى عَبَر الجنود الخمسة والعشرون ، وخلفهم الدبَّابة الثانية ، ثم صاح (نضال) فى قوَّة :

ـــ هجوم .

وتحوَّل المكان فى لحظة واحدة إلى قطعة من الجحيم ..

لقد بدأت المعركة بعشر قنابل ألقيت دفعة واحدة ، حطَّمت ست منها دبابتى المقدِّمة والمؤخرة ، وانفجرت الأربع الأخرى وسط الجنود .. وقبل أن يتمالكوا أنفسهم ، انطلقت رشَّاشات المقاومة الفلسيطينية نحوهم ، وأطلقوا هم النار دفاعًا عن أنفسهم ..

واستغرقت المعركة خمس دقائق فحسب ، سيطر بعدها رجال المقاومة على الموقف ، وهتف (نضال) فى حزم :

ـــ هيَّا يا رجال .. سنرتدى ثياب الإسرائيليين ، ونبدأ الجزء الثانى من الخُطَّة .

أسرع الجميع يرتدون ثياب الجنود الإسرائيليين ، وقال (نضال) :

ـــ ينبغى أن تعلموا جميعًا أننا سنقطع مايقرب من

الكيلومتر فى العراء ، أمام عيون رجال الدوريَّة التى تتولَّى الحراسة الآن ، وسيلاحظون جميعًا عدم وجود الدبابتين ، وسيفقدنا هذا عامل المفاجأة .

غمغمت (سلوى) فى قلق :

ـــ هل تعتقد أننا سننجح ؟

ابتسم فى سخرية ، وقال :

ـــ ماذا قال تاريخكم فى ذلك ؟

* * *

تعلَّقت عيون رجال الدوريَّة الإسرائيلية ، التى تقوم على حراسة المقاتلة المستقبلية ، بالرجال الذين يقتربون منهم فى خطوة عسكرية منتظمة ، وغمغم أحدهم فى دهشة :

ـــ أين الدبابتان ؟

أجابه زميله فى حَيْرة :

ـــ لست أدرى .. ربَّما سيتمّ تخفيف الحراسة اعتبارًا من اليوم .

عقد الحارس حاجبيه فى شك ، وغمغم :

ـــ ربَّما !

ثم رفع عقيرته بالصِّياح ، قائلًا :

ــ قِفْ .. كلمة السرّ .

تبادل (نور) و (نضال) نظرة جزع ، وغمغم (نور) :

ــ يا إلٰهى !!.. إننا لم نتوقَّع ذلك .

عقد (نضال) حاجبيه ، وقال :

ــ على كل .. سنمنحهم كلمة سرّ لا تخطئ أبدًا .

وفى حركة واحدة ، رفع كل منهما مدفعه الرشاش نحو رجال الدوريَّة الإسرائيلية ، وَأطلقا النار ..

وكانت مفاجأة شديدة بالنسبة للإسرائيليين ، ولكنها لم تمنعهم من مبادلة رجال المقاومة النيران ، واستعر جحيم القتال مرة أخرى .

كان تبادل النيران عنيفًا قويًّا ، وتصاعدت آلام ذراع (نور) ، وهو يطلق مدفعه الرشَّاش فى بسالة ، حتى هتف به (نضال) :

ــ الدبَّابتان .. لو انطلقتا سنخسر كل شيء .

ثم أشار إلى (نور) ، قائلًا :

ــ لابدَّ أن نحاول منعهما ، مهما كان الثمن .

واندفع الاثنان فى جسارة ، وسط وابل من النيران .

* * *

كانت محاولة باسلة ، رهيبة ، أثارت ذهول الإسرائيليين ،

ولكنها لم تُهِن من إصرارهم على صد الهجوم .. وانطلقت رصاصاتهم نحو (نور) و (نضال) ، ولكن رصاصات رجال المقاومة أمَّنت تغطية مناسبة ، وإن شعر (نور) بضعف موقف رجال المقاومة ــ على الرغم من بسالتهم ــ أمام دبَّابتين ، استعدَّ مدفعاهما للدخول فى المعركة ..

وهنا توقَّف (نور) ، وانتزع مسدَّسه اللِّيزرىَّ ، وأطلق أشعته نحو الدبَّابة الأولى ..

وكانت المفاجأة الحقيقية للجنود الإسرائيليين ، حينما رأوا الشعاع الأزرق ، وهو يشقّ مدفع الدبَّابة ، وألجمتهم هذه المفاجأة على نحو عجيب ، فتسمَّرت أصابعهم على أزندة أسلحتهم ، وسقطت فكوكهم فى ذهول ، وحانت فرصة مثالية للنصر ، أمام رجال المقاومة الفلسطينية ..

ورأى قائد الدبَّابة الثانية زملاءه يتساقطون كالذباب ، أمام رصاصات رجال المقاومة ، وتفجَّر الغضب فى أعماقه ، فأدار فوَّهة مدفع الدبَّابة نحو (نور) ، الذى واجه الدبَّابة بمسدسه اللِّيزرىَّ ، وأطلقه ..

ولكن الأشعة الزرقاء لم تنطلق ..

لقد فرغت طاقة المسدَّس اللِّيزرىَّ .

* * *

١٣ — التاريخ ..

كان الموقف يؤكِّد هزيمة (نور) ..

هزيمة رجل واحد أمام دبَّابة من الصلب ..

ولكنه لم يكن رجلًا عاديًا ..

كان مقاتلًا من القرن الحادى والعشرين ..

واندفع (نور) فى جسارة مذهلة نحو الدبَّابة ، وقفز فى براعة وشجاعة ، وتعلَّق بالمدفع الأسطوانى الصلب ، ودار بجسده حوله ، فى مهارة لاعب أكروبات ، وقفز واقفًا فوقه ، ثم انطلق فى رشاقة مذهلة ، وقفز فوق الدبَّابة ، وفتح بابها العلوىّ ، وصوَّب مدفعه الرشَّاش إلى طاقمها ، وهو يقول فى صرامة :

— لقد انتهى القتال أيها الأوغاد .

واستسلم طاقم الدبَّابة ..

وربح رجال المقاومة المعركة ..

وربَّت (نضال) على كتف (نور) فى إعجاب ، وهو يهتف فى حرارة :

— أنت مقاتل حقيقىّ يا صديقى .. كم أتمنَّى لو أنك تنتمى إلى عصرنا .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— كاد هذا يتحوَّل إلى حقيقة ، لولا معاونتك أيها البطل .

ثم أسرع إلى المقاتلة ، وحرَّك أصابعه فوق مربَّع أسود فى مقدمتها ، ببراعة ومهارة مدروستين ، ولم يكد يبعد يده ، حتى فُتِحَ باب المقاتلة ، وبدت أجهزتها المتطوِّرة أمام الجمع المبهور ، وأسرع (محمود) و (سلوى) داخلها ، وقال (رمزى) فى انفعال :

— يقول (محمود) إنه أمامهما نصف ساعة على الأكثر ، ونصبح مستعدين للعودة إلى عصرنا .

تألَّقت عينا (نور) ، وهو يقول :

— يا إلهى !!.. كم أشتاق لمنزلى ، وابنتى (نشوى) .

ثم أردف وهو يبتسم :

— وإلى عصرى .

* * *

مضت نصف الساعة فى بطء وتثاقل ، حتى قفزت (سلوى) خارج المقاتلة ، وهى تقول فى انفعال :

— لقد أصبحنا مستعدين يا (نور) .. تمَّت برمجة القائد الآلى ، ولكن حذار ، فسيمكنك القيادة طالما لم تمس زرّ القيادة الآلية .. فبرنامجه حتمىّ ، لا يمكن التراجع فيه .. وهو مبرمج بحيث يعيد تعديل مساره ، كلما استخدمت أنت القيادة اليدويَّة ، بحيث ينطلق من أيَّة نقطة ، ليعدِّل مساره ، ويبدأ رحلته نحو عصرنا من البداية .

ابتسم (نور) ، وقال :

— اطمئنّى يا (سلوى) .. لن أحاول تعديل مساره أبدًا ، فأنا فى أشد اللهفة لعودتنا .

تردَّدت (سلوى) لحظة ، وتبادلت نظرة ذات مغزى مع (رمزى) ، و (محمود) ، ثم قالت فى بطء .

— لقد ناقشنا هذه النقطة يا (نور) ، ووصلنا إلى رأى آخر .

عقد حاجبيه ، وهو يسألها :

— أى رأى هذا ؟

قال (رمزى) فى رصانة :

— هل تعلم ماذا سيحدث غدًا يا (نور) ؟.. سيهاجم الإسرائيليون مصر ، وسيكبدونها أبشع خسارة عسكرية فى التاريخ ، ونحن أمامنا فرصة مثالية لتغيير هذا التاريخ .

هتف (نور) فى دهشة :

— ماذا تعنى يا (نور) ؟

ابتسم (رمزى) ، فى حين أجاب (محمود) :

— إننا نعرف موعد الهجوم بالضبط يا (نور) ، ولحظته ، وخُطَّته ، كما قرأنا فى كتب التاريخ .. ثم إننا نملك مقاتلة من عصرنا ، لن يمكن لطائرة إسرائيلية واحدة اللَّحاق بها ، أو إصابتها ، ويمكننا وحدنا صدّ الهجوم الإسرائيلى ، ومنع النكسة .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى حِدَّة :

— هل تعلمون ما تعنيه محاولة تغيير التاريخ ؟.. إن التاريخ عبارة عن مجموعة حلقات مترابطة ، لو حدث خلل فى حلقة واحدة منها ، لانهارت الحلقات التى تليها ، ومحاولة تجنُّب النكسة قد تكون لها عواقب وخيمة .. فلا أحد يدرى أين الخير ، والله (سبحانه وتعالى) وحده يرتِّب الأحداث ، ويصنع ما فيه الخير .

هتف (رمزى) :

— ولكننا مصريُّون يا (نور) ، ومصر تتعرَّض لنكسة ، ويمكننا منعها ، فكيف نقف ساكتين .

هتف (نور) :

— إننا لا ننتمى إلى هذا العصر .. إننا ننتمى إلى عصر آخر فى مستقبل هذا الزمن ، وتغيير حدث واحد هنا ، قد يؤدى إلى نتائج مذهلة ، بل قد يؤدى إلى عدم وجودنا فى زمننا أصلاً .

قال الثلاثة فى آن واحد :

— سنضحّى بوجودنا من أجل مصر يا (نور) .

صمت (نور) تمامًا ، وأطرق برأسه ، وهو يفكّر فى عمق ، ثم رفع عينيه إلى (نضال) ، وقال :

— ما رأيك ؟

ابتسم (نضال) فى عاطفة ، وقال :

— إننى أتمنّى أن تتجنّب مصر النكسة يا صديقى .

هزّ (نور) رأسه فى بطء ، وغمغم :

— فليكن .. ما دام هذا رأى الجميع .

ثم صافح (نضال) فى حرارة ، وهو يقول :

— الوداع يا صديقى .. سأفعل ما أراده الجميع ، ولكننى مازلت أومن باستحالة تغيير التاريخ .

ابتسم (نضال) ، وهو يقول :

— سأستعيد كلمتك يا صديقى .. لابدّ لنا من المحاولة .

وقفز (نور) داخل المقاتلة ، وأغلق أبوابها ، ولوّح بذراعه

لـ (نضال) ، ثم انطلق بالمقاتلة ، وراقبه رجال المقاومة فى دهشة وانبهار ، وغمغم أحدهم :

— يا لها من سرعة !!

خفض (نضال) عينيه ، وحاول كبت دموعه ، وهو يقول :

— فلندعُ الله أن يفلحوا فى مهمتهم يا رجال .

ثم انحنى يلتقط مسدس (نور) ، الذى فرغت طاقته ، وابتسم فى حزن وهو يقول :

— وداعًا يا رجال المستقبل .. وداعًا .

* * *



١٤ ـ العودة إلى المستقبل ..

انعكست شمس صباح الخامس من يونو ، عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين ، على المقاتلة (العاصفة ٧) ، التى ربضت ساكنة على رمال سيْناء ، وبداخلها تعلّقت أنظار فريق (نور) بالسماء ، وغمغمت (سلوى) :

ـ سيبدأ قتال الطائرات بعد لحظات ، طبقًا لما تقوله كتب التاريخ يا (نور) .

أومأ (نور) برأسه ، وغمغم :

ـ نعم .. ستنطلق الطائرات الإسرائيلية فوق رءُوسنا بعد قليل .

قال (رمزى) فى اهتمام :

ـ تذكَّر خُطتنا يا (نور) .. سنترك الطائرات تتجاوزنا ، ثم ننطلق خلفها و ....

لوّح (نور) بكفّه ، وقال :

ـ نعم يا (رمزى) .. إننى أذكر كل شىء ، ولكننى أخشى ما سنفعله .

تبادل أفراد الفريق النظرات ، ثم غمغم (رمزى) :

ـ لابدَّ أن نحاول يا (نور) .

غمغم (نور) :

ـ نعم .. لابدَّ .

ثم أشار إلى السماء ، وقال :

ـ لقد بدأ الهجوم الإسرائيلى .

رفع الجميع رءُوسهم إلى السماء ، وشاهدوا الطائرات الإسرائيلية ، وهى تعبُر السماء نحو قلب سيْناء ، وأدار (نور) محرِّك المقاتلة ، وهو يغمغم :

ـ سنبدأ محاولة تغيير التاريخ يا رفاق .

أمسك (رمزى) ذراع (نور) فى قوّة ، وهو يهتف فى انفعال :

ـ نعم .. فلنبدأ .

تأوّه (نور) فى ألم ، فقد أمسك (رمزى) بجرح ذراعه تمامًا ، وتركت يد (نور) عصا القيادة ، وارتطمت أصابعه بزرِّ القيادة الآلية ، وانطلقت المقاتلة فى رحلة العودة إلى المستقبل ، وهتف (رمزى) فى ألم :

ـ ربّاه .. لقد فقدنا فرصة تغيير التاريخ .

* * *

تحرَّك القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية فى عصبيَّة ، وهو يسأل العالم العجوز :

ــ هل لك أن تشرح لى سرّ ثقتك فى عودتهم ؟

هزَّ العجوز كتفيه ، وغمغم فى هدوء :

ــ إنهم فريق علمى .. أليس كذلك ؟

عقد القائد الأعلى حاجبيه ، وهو يقول فى حِدَّة :

ــ النتائج العلمية لاتُبْنَى على الافتراضات .

ابتسم العجوز ، وهو يقول فى هدوء وثقة :

ــ ولكنهم سيعودون .

فتح القائد الأعلى شفتيه ليعترض ، ولكن أزيز جهاز التليفيديو فى مكتبه ، جعله يقفز إليه ، ويسأله فى لهفة :

ــ هل من جديد ؟

تألَّقت عيناه ، وهو يستمع إلى محدِّثه ، ثم هتف فى سعادة :

ــ يالك من عبقرىّ أيها العجوز .. لقد عادت المقاتلة ، وعاد (نور) وفريقه .

ثم اندفع يربِّت على كتف العجوز فى سعادة ، وهو يردِّد :

ــ لقد عادوا .. لقد عادوا .

ابتسم العالم العجوز ، وهو يقول :

ــ ألم أقل لك ؟

أطلق القائد الأعلى ضحكة مرحة ، وكأنما ينفِّث عن قلق الأيام الثلاثة الماضية ، وهتف :

ــ سيكون لك حقّ استقبالهم معى أيها العجوز .. أنت أحقّ الناس بذلك .

تألَّقت عينا العجوز ، وهو يغمغم :

ــ إننى أنتظر هذا اللقاء فى شغف يا سيِّدى .

* * *

صافح القائد الأعلى (نور) ورفاقه فى حرارة ، وهتف فى حماس :

ــ أعتقد أن تقريرك هذه المرَّة سيكون مذهلًا يا (نور) .. فهذه هى المرَّة الأولى ، التى يتجاوز فيها بَشَرٌ سرعة الضوء .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ إنك لن تصدِّق قصتى يا سيِّدى .

أتاه فجأة صوت العجوز يقول :

ــ أعتقد أنه من الخير للجميع أن تحتفظ بقصتك سرًّا أيها الرائد .

التفت الجميع نحو العالم العجوز ، الذى يقف فى ركن مظلم من الحجرة ، وأشار إليه القائد الأعلى ، وهو يقول فى انفعال :

- هذا هو العبقرى ، الذى تنبأ بعودتكم ، ولست أدرى كيف فعل ذلك ؟

ابتسم العجوز ، وهو يقول :

- لقد كنت أنتظر عودتهم فى لهفة أيها القائد .

ثم أخرج من جيبه مسدسًا ليزريًا قديمًا ، وتقدَّم فى هدوء خارج البقعة المظلمة ، وترك ضوء الغرفة يغمر وجهه ، وشعره الأشيب ، وهو يبتسم ، ويغمغم :

- أنتظره منذ سبعة وثلاثين عامًا .

اتسعت عيون (نور) وفريقه فى ذهول ، فى حين مدَّ العالم العجوز يده بالمسدَّس اللِّيزرىّ القديم إلى (نور) ، وهو يقول :

- مسدَّسك أيها الرائد .. إننى أحتفظ به فى يوم وداعنا .

هتف القائد الأعلى فى دهشة :

- هل يعرف أحدكما الآخر ؟

ابتسم (نور) فى عاطفة مشبوبة ، ومدَّ يده يصافح العجوز فى حرارة ، وهو يقول فى انفعال :

- هل تقصد أنا والعالم الفيزيائى (نضال فايد) ؟.. بالطبع يا سيِّدى .. إن كلينا يعرف الآخر جيِّدًا .

اتسعت ابتسامة (نضال) ، الذى نال منه الزمن مناله ، وغمغم فى سعادة :



ثم أخرج من جيبه مسدَّسًا ليزريًا قديمًا ، وتقدَّم فى هدوء خارج البقعة المظلمة ..

— نعم أيها القائد .. منذ سبعة وثلاثين عامًا بالنسبة لى ، وأربعة أيام بالنسبة للرائد (نور) .

هتف القائد الأعلى ، وقد تضاعفت دهشته :

— ماذا يعنى هذا اللُّغز ؟

ارتفع حاجبا (نور) فى عاطفة ، وسالت دموع (سلوى) فى انفعال وفرح ، وابتسم (محمود) ابتسامة واسعة ، فى حين غمغم (رمزى) فى هدوء :

— يعنى أننا اجتزنا أول ثقب فى التاريخ ، ياسيادة القائد الأعلى .

ثم أردف فى حزم :

— وآخر ثقب .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥